التناص والمضامين الإجتماعية عند روضة الحاج

سارة سنان محمد الحصونة
جامعة الأديان والمذاهب
باشراف الدكتور حيدر زهراب
الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الأدیان
والمذاهب، قم، إیران.
H.zohrab@urd.ac.ir

المستخلص

أظهر النقّاد اهتماماً بالغاً بالنسبة إلى الألفاظ في النصّ الشعري وأولوه اهتماماً وعناية بالغة في الدراسات والبحوث المختلفة والمتنوعة. وهذا الأمر يرجع إلى أنّ اللغة الشعري تعدّ نوعاً ما هوية للإبداع والابتكار في الشعر. وهي علامة دالة على الانمتاء إلى دائرة النصّ الشعري. من هذا المنطلق، أسس النقاد في الماضي شروطاً معينة للشعر والأبيات الشعرية، بحيث لا يجب أن نعدّ الكلام صالحاً ومؤسساً لهذا النوع من الفنّ فحسب، بل على الأديب والشاعر على وجه خاص أن يبحث كثيراً في تعاملاته مع اللغة وبذلك لا يعدّ ذلك ضمن القالب الشعري ويخرج عن دائرة الأدب بصورة عامة فضلاً عن الشعر والنصّ الشعري الّذي يعدّ صدى للمشاعر والأحاسيس.[١] وفي هذا الصدد، طلب النقاد أن يتم اختيار الفاظه حتى تكون لغة الشعر متميزة ومختلفة عن غيرها من أساليب اللغة المعمولة في العلوم والصناعات المختلفة واللغة التي يعتمدها العامة من النّاس ومن يعتمد اللغة في علاقاته اليومية والمهنية عندما نتحدث عن اللغة في الشعر والأدب بشكل عام، فإن معنى اللغة في سماتها الفنية هو إيقاظها في عمق المعاني وتنظيم نسيج كلماتها وجملها بطريقة توسع نطاقاتها الصوتية والإيحائية ليعطي يجدد قراءته ويثري مجالاته التعبيرية. بهذا الحساب لا يمكن أن تكون كل لغة مادة مناسبة للشعر ، لأن لغة الشعر مميزة ومحددة، لأنها لغة موحية، وتعارض اللغة العادية أو لغة العلم. لغة التحديد ولغة التفسير.[٢] ما يميز لغة الشعر عن غيره أنه أكثر من مجرد حاوية تحمل المعاني وأكثر من مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار. إنهم يعنون نفس الأمر. بحيث يصبح في خطاب الشعر مقصدًا أساسيًا وفي عملية الإبداع يصبح هدفًا مركزيًا, ليست وسيلة لإنجاز شيء، بل غاية في حد ذاتها. ان الشاعر يبحث عن المعنى، والمراجع الفكرية التي يربطها، وكل العوامل الذهنية والموضوعية التي تلعب دوراً في تجاربه الشعرية هي مترجم لانطباعاته وحساسياته، وصورة معبرة عن انشغالاته واهتماماته الفكرية والنفسية والاجتماعية.[٣]**الكلمات المفتاحية:** التناص، والمضامين الإجتماعية، روضة الحاج.

التناص التناص «ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط والتقنين إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الترجيح».[٤]ومثال ذلك قول المتنبي:

تَماثيلَ القِبابِ الجِنُّ بِها فَأَدَرنَ فيكَ

أي ان الجن اشتاقت إلى رؤيتك أسوة بالإنس، أراد حب الثقلين له، فلما لم تستطع ذلك من دون أن تتجسد بشيء فإنها توارت في تماثيل القباب فأدارت النظر فيك من خلال عيون التماثيل. وهذا التناص يشير إلى أن المتنبي لم يهمل فكر العامة فكان جزءاً من ثقافته الشاملة، وانه في هذا التناص متأثر حتماً بتلك الثقافة.[٥]

مفهوم التناص

لغةً حفل التناص بإهتمام النقاد العرب، وقد تناولوا مفاهيمه وتعريفاته فقد قرئ ضمن تقسيمات خاصة بكل شاعر أو أديب، فهناك التناص الديني مثلاً وهناك الأسوطري وكذلك التاريخي، وكما بينّا فإن قراءة التناص تكون من خلال التناص المباشر والتناص غير المباشر، والتناص غير المباشر أكثر فنية من التناص المباشر لما له من ميزات من مثل الغموض الذي يثري النص الإبداعي ويحفز استمرايته وكذلك احتمالية اللغة لدلالات متعددة تحقق للقارئ أكثر من قراءة لتجعل النص منفتحاً غير منغلق، مما يحقق فنية عالية للنص الحاضر ويجعل له ديمومة.وقد يتبادر لذهن القارئ أن أصل التناص هو كلمة (نص)، وذهبت دراسات أخرى إلى أن التناص هو النص أو عملية النسيج (دراسات المعنى المعجمي اللاتيني).[٦]وتقوم فكرة التناص على إقامة علاقة ما بين النص الخاضع للتحليل وبقية العناصر التي تشكل سياقه وخاصة السياق التاريخي والأدبي، إذ تتداخل النصوص وتتشكل مجموعة من الاستدعاءات التراثية، وتنصرف النص الحاضر.[٧]

مفهوم التناص إصطلاحاً

إن التناص في النقد العربي الحديث هو ترجمة لمصطلح الفرنسي «intertext» حيث تعني كلمة «inter»

في الفرنسية: التبادل، بينما كلمة «text»: النص وأصلها مشتق من الفعل اللاتيني «textere» وهو متعد ويعني "نسج" وبذلك يصبح معني «intertext» التبادل الفني وقد ترجم الي العربية: بالتناص الديني يعني: تعالق النصوص بعضها ببعض.وصيغته التناصيص مصدر الفعل علي زنة "تفاعيل" تأتي علي اثنين أو أكثر وهو تداخل النصوص ببعضها عند الكاتب طلباً لتقوية الأثر .كما يرد مصطلح «intertextuel» وقد ترجم الي التناصي أو المتناص وهو مايفيد العملية الوصفية في التناص ومصطلح «intertextualite» وقد ترجمه النقاد العرب «التناصية أو

النصوصية» وهذه الترجمة جاءت علي غرار ترجمة مصطلح «structuralisme» بالبنائية أو البنيوية.ويورد سعيد علوش في كتابه: «معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة بعض التعريفات لمصطلح التناص بدء من جوليا كريستيفا وإنتها برولان بارت.»

١. يعتبر التناص عند "كريستيفا" أحد مميزات النص الأساسية التي تحيل علي نصوص أخري سابقة عنها معاصرة لها.

٢. يري "سوليرس" التناص فط كل نص يتموضع في ملتقي نصوص كثيرة بحيث يعتبر قراءة جديدة تشديداً وتكثيفاً.[٨]

مفهوم التناص

تناول العديد من النقاد هذا المصطلح بالدراسة والتعريف منهم الغرب ومنهم العرب أمثال «باختين» و«كريستيفا» و«ريفاتير» ومن النقاد العرب المعاصرين «محمد بنيس» و«عبدالله الغذامي» و«محمد مفتاح» وغيرهم.وقد توافق النقاد على أن أول من وضع تعريفاً للتناص بمفهومه الحديث الكاتبة البلغارية «جوليا كريستفا»، والتي قالت عنه: «إن علاقة النص باللغة التي تتموضع فيها هي علاقة إعادة توزيع (هدم–بناء)، فالتناص هو ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي نص معين تتقاطع وتتنافي ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى، وبمعنى آخر إن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو اقتصاص وتحويل لنصوص أخرى»[٩]وهذا ما أشار إليه «رولان بارت» إلى أن «النص فضاء متعدد الأبعاد، تتمازج فيه كتابات متعددة، أو هو نسيج من الاقتباسات تتحدر من منابع ثقافية متعددة».[١٠]فالتناص هو أن يتأثر نصّ بنصٍ سبقه، ويرى أحمد الزعبي أن «التناص، في أبسط صوره، يعني أن يتضمن نص أدبي ما نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة أو الأفكار مع النص الأصلي، وتندمج فيه؛ ليتشكل نص جديد واحد متكامل».[١١]وقد صور الجاحظ ذلك أصدق تصوير حيث قال في باب أخذ الشعراء بعضهم معاني بعض:«لا يُعلم في الأرض شاعر تَقَدَّم في تشبيه مصيب تامٍّ، وفي معنى غريب عجيب، أو معنى شريف كريم، أو في بديع مُخترَع، إلا وكلُّ من جاء من الشعراء من بعده أو معه، إنْ هو لم يعدُ على لفظه، فيَسرِق بعضه، أو يدَّعيه بأسْرِه، فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى، ويجعل نفسه شريكاً فيه، كالمعنى الذي تتنازَعه الشعراء، فتختلِف ألفاظهم وأعاريض أشعارهم، ولا يكون أحدٌ منهم أحقَّ بذلك المعنى من صاحبه، أو لعلَّه أن يجحد أنه سمِع بذلك المعنى قط، وقال: إنه خطر على بالي من غير سماعٍ كما خطر على بالٍ الأول».[١٢]بينما يرى محمد بنيس أن المصطلح الأنسب لهذه الظاهرة هو «التداخل النصي».[١٣]«إن التداخل النصي ينسحب على كل شعر وعلى كل نص، أكان قديماً أم حديثاً... لقد أدرك الشاعر الجاهلي سلطة النصوص الأخرى على نصه، وهو ما واجهه القرآن كما واجهته مختلف الخطابات في الثقافة العربية القديمة، وتفصيل دراسة العلاقة بين النصوص في الشعرية العربية القديمة، دليل على إدراك المسارات اللانهائية التي يسلكها النص في علاقته بالنصوص الأخرى»[١٤]فاللغة تعتمد في الأساس على الانتقال من شخص إلى آخر فنكرر بعضنا بعضا في لغتنا وهو ما عبر عنه عنترة بن شداد حين قال:

غادر العشراء من ل عرفت الدار بعد

بمعنى أن الشعراء يستعيرون كلام غيرهم، أو يعيدون كلامهم و يكررونه.

فالنص الأدبي يعتمد على المخزون الثقافي للأشخاص بمعنى «إعادة إنتاج هذه النصوص السابقة له، التي خبرها الأديب على نحو من الأنحاء خلال مراحل تكوينه الثقافي».[١٦] التناص نوعان؛ التناص مباشر والتناص غير مباشر.

لغة الشاعرة (روضة الحاج)

إنّ الشاعرة السودانية روضة الحاج آثرت اللغة العادية البعيدة عن التعقيد والغموض ونأت بنفسها عن اللغة التي يعتمدها بعض أقرانها الّذين يلجأون إلى الحداثة والتجديد في الأسلوب الشعري. وفي النهاية يأتون بنمط قصصي غامض لا يعرفه القارئ ولا يقدر على استيعابه مهما كانت له قدرة على الفهم والتفكر. نضيف إلى ذلك بأنّ الشعر للجميع ولا يتعلق بفئة خاصة مثقفة دون غيرها من النّاس. وهذا بطبيعة الحال يعدّ فشلاً فاضحاً للغة التي لا تقدر على التواصل مع شرائح المجتمع المختلفة في جميع أنحاء العالم ونشير كذلك إلى هذه الملاحظة المهمة في هذا المجال من خلال قولنا: إنّ بعض الأشعار التي تبدو غريبة من ناحية المعنى والأسلوب، فإنّ البعض من هذه الأشعار والنصوص الأدبية تبقى غامضة معقدة حتى بالنسبة إلى المؤلّف والشاعر نفسه. وإن روضة الحاج قد تجنّبت هذا الأسلوب السيء في البيان والأسلوب وأتت بأسلوب بسيط سهل يدركه العامة من النّاس ويتفهمه الأفراد من دون عناء ويعجب النقاد والدارسين أيضاًإنّ هذه الأمور التي ذكرناها كانت من العوامل المهمة التي أدّت إلى انتشار وذياع شعر الشاعرة السودانية روضة الحاج على ألسن النّاس في مناطق مختلفة من سودان وسائر البلدان العربية.

فهي اختارت أسهل الأبواب في الشعر من دون ركاكة في التعبير. فكانت تتخذ منهج البساطة والجودة في المعنى واللفظ في جميع آدابها ويبدو لنا ذلك بصورة واضحة وصريحة في دواوينها وآثارها الشعرية.

إنّ الشاعرة روضة الجنان قد أنشدت في قصيدتها المسماة باسم نشاز في همس السحر قائلة:

وغداً تسافر كالمساء
وأظلّ وحدي للصقيع وللشتاء
أواه لو تدري صديق العمر
كيف غدا أكون والنّاس حولي
يضحكون ويمرحون
وحدي مع الأشواق أبقى والشجون.[١٧]

ومن المظاهر اللغوية التي يمكننا ملاحظة الجودة في اعتماد اللغة عند الشاعرة السودانية المتالقة، فيمكن الاشارة إلى توظيف الكنايات التي تصور ما يوجد في النفس الإنسانية من الحالات والمشاعر والعواطف المختلفة. إنّ الشاعرة روضة الحاج، قد عبّرت عن دهشتها واضطرابها الّذي يؤدّي إلى الحزن من خلال الاعتماد على تقنية الاستفهام في الشعر. ويتبين لنا ذلك بوضوح في قصيدتها التي أنشدتها في رثاء ليلى وهيام في القصيدة التي تحمل عنوان ألان ينكسر القصيد واعتمدت في هذه القصيدة على الأسلوب الاستفهامي:

ستشقين على جدران القلب مزراباً
وتنظرين إعصار الشجون بكلّ عام
أبكلّ عام سوف نضحك خيفة
ونظلّ نرقب خوف أن تأتين
في الوقت الحرام.[١٨]

التناص القرآني في لغة روضة الحاج الشعرية

ونلحظ كذلك وجود ظاهرة لسانية تهتم باللغة وهي ظاهرة اهتم بها الشعراء العرب منذ القديم وركّزوا على وجودها في أشعارهم بصورة صريحة، ألا وهي اعتماد التناص القرآني في الشعر. وهو فن يعرفه البلاغيين باسم الاقتباس أو تضمين. أمّا النقاد والنقد في العصر الجديد فقد أطلقوا على هذه الصنعة تسمية جديدة (التناص).ومن نماذج ذلك في شعر الشاعرة السودانية روضة الحاج، يمكن الإشارة إلى النماذج الشعرية التالية التي استخرجناها من ديوان الشاعرة بصورة اعتباطية وتدلّ على تركيز الشاعرة واحاطتها بالنصّ الشريف القرآني والعلوم الدينية المختلفة وهذا يبرز جانباً من جوانب ثقافتها التي تتمثل في الدين والقرآن.اعتمدت الشاعرة روضة الحاج كلمة (ويح) في أبياتها الشعرية. وهي كلمة تدّل على الألم وطلب الرحمة وبيان الشفقة لمن نفذ صبره في الحياة ولم يفلح في أموره وأعماله في الدينا. فتقول الشاعرة معتمدة على هذا اللفظ في الأبيات الشعرية التالية ومن خلال التناص القرآني:

كلّ الحروف الرائعات تعود..
كلّ الأمسيات الناعسات تعود..
كلّ دقيقة كانت لديك تعود..
كلّ قصيدة كانت لديك تعود
تأسرني...
فما أدري إلى أين المفرّ؟؟.[١٩]

إنّ الشاعرة تظهر محاصرة بأمل العودة والرجوع وهذه العودة تتمثل في الأمور المختلفة، منها: رجوع الحروف والزمن والقصيد والامسيات. ثم يطرح هذا السؤال القرآني وهذا التسائل الديني من خلال عبارة أين المفر؟ وهذا بحد ذاته تناص مع الآية القرآنية الّذي قال الله تعالى فيها: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۞ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۞ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۞ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾.[٢٠]وعندما تقوم القيامة، يواجه الإنسان بما لاحظناه في الآيات المذكورة من سورة البلد وحينها يتسائل الإنسان حول مصيره ويقول: أين المفر؟ أين الطريق إلى الخلاص من كلّ هذه الأمور؟ وهل هناك من طريق للنجاة؟وفي موضع آخر، أنشدت روضة الحاج في أبيات شعرية لها تقول:

رقمي سأرحل

فادكرني

ما تناهى الصوت مني

والعمر الّذي قد كنت أنت ربيعه

عبثاً يفرق ضوؤه أيده سبا.[٢١]

إنّ الشاعرة السودانية (روضة الحاج) في بعض الأحيان تعتمد ألفاظ الآيات القرآنية في عملية التضمين والتناص في أبياتها الشعرية. وهذا الأمر بدوره يفرد البنية الشعرية التركيبية في ديوانها الشعري. من نماذج هذا الأسلوب للتناص في شعر الشاعرة يمكن الإشارة إلى كلمة (فادكرني) في المقطع المذكور وهو كما هو بيّن قد تم اقتباسه من الآية الشريفة في سورة يوسف، حيث قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾.[٢٢]يكثر توظيف الآيات القرآنية على سبيل التناص في أشعار الشاعرة السودانية روضة الحاج، فهي متضطلعة بالنسبة إلى النصّ القرآني. وهي تقول في قصبدة أخرى لها تحمل عنوان: عنت الرحيل:

وللنساء جئن بالغداة ساعة النهار

وعدن بالحياة كلها مع الشفق

تمتم الصباح والمساء تعوذ بالرحيم ربها من شر ما خلق.[٢٣]

وفي الموضع المذكور من أشعارها تعتمد الشاعرة على الألفاظ والتعابير القرآنية في شعرها وتحديداً تعتمد على سورة الفلق لتسدّ هذه الفجوة في المضمون وتسكب عليه جمالية دلالية كبيرة. وإنّ أشعارها كما هو واضح قد تمّ أخذه من سورة الفلق، وهي من صغار السور في القرآن الكريم: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۞ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾.[٢٤]وفي موضع آخر أيضاً نرى الشاعرة تعتمد على نوع آخر من التناص في أبياتها الشعرية في القصيدة القصيرة التي تحمل عنوان (وحدة)، وتقول فيها:

لأنّ عطرك كان ذاكرتي المليئة بالتفاصيل الجميلة

في زمان القيس والفصل المسالم

والحكايات التي اختارت نهاية قوله

لا تحزنْ.[٢٥]

وإنّ عبارة (لا تحزن) قد تمّ اعتمادها من الآية ٤٠ من سورة التوبة. اعتمدتها الشاعرة روضة الحاج بصورة متميزة في أشعارها. أمّا الآية القرآنية فهي: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾.[٢٦]إنّ الشاعرة روضة الحاج قد التفت إلى القرآن كثيراً في إنتاجاتها الأدبية؛ خاصة في الشعر؛ لذا نرى بأنّها اعتمدت كمّاً هائلاً من الآيات القرآنية في أشعارها على سبيل التناص. إنّ بعض التناص التي تعتمده الشاعر يأتي صريحاً مباشراً والبعض الآخر أيضاً يظهر بصورة غيرمباشرة؛ تأتي به الشاعرة على قبيل التعريض والإشارة ويصعب أحياناً تمييز التناص الموجود فيه بسهولة بل يجل فكّ شفراته لبيان ذلك التضمين والتناص القرآني في أدب الشاعرة وأشعارها ومفرداتها التي تعتمدها في نصوصها الشعرية في شتى الموضوعات والمسائل المختلفة.

التناص الأدبي في لغة روضة الحاج الشعرية

اعتمدت الشاعرة روضة الحاج على دواوين الشعراء العرب القدامى والمعاصرين أيضاً لإثراء شعرها وذلك على سبيل التناص ولم تكتف بالقرآن والأحاديث والروايات القرآنية فحسب. من هذا المنطلق نلحظ بعض التناص من نوع الاجتراري في بعض قصائح الشاعرة. نشير في هذا الموضع إلى بعض هذه الأمثلة لكي يتبيّن لنا الأمر ويتضح بصورة أكبر. من نماذج ذلك قول روضة الحاج في البيت الشعري التالي التي تقول فيه:

أنا حينما أوقفت عمري رهن عمرك

كنت أعرف أنني (أعطيت ما استبقيت شيئاً).[٢٧]

إنّ الشاعرة أخذت هذا البيت الشعري من أشعار الشاعر (إبراهيم ناجي) في قصيدته الشهيرة المعنونة بـ (الأطلال) والّذي يقول فيها الشاعر:

حرّيتي أطلق أعطيت ما استبقيت

إنّ هذا التناص من نوع الاجترار. أي الأخذ من جزء من هذا البيت الشعري للشاعر إبراهيم ناجي؛ الشاعر المعاصر العربي. وقد وظّفت الشاعرة هذا البيت في خدمة المعنى ودمجته في المقطع الشعري بصورة سلسلة. فإنّها أرادت من ذلك أن تقول بأنّ عمرها جميعاً رهن للحبّ والعاشق الذي تهواه. وكذلك الحال بالنسبة إلى إبراهيم ناجي الذي كان سجيناً في السجن ويطالب بالحرية والإفراج عن سبيله.ومن نماذج الآخرى للتناص الأدبي والشعري في شعر الشاعرة، يمكننا الإشارة إلى هذا البيت الشعري للشاعرة السودانية روضة الحاج الّذي تقول فيه بلغة شاعرة:

وَهده شوق إلى الزغب الصغار

فصاح مكسوراً.. ألا كيف السفر!!.[٢٩]

إنّ مفردة (الزغب) في الأبيات الشعرية المذكورة سابقاً، ترجع بنا إلى البيت الشعري المعروف للشاعر القديم العربي والعريق (الحطيئة) عندما أمر الخليفة الثاني بإلقائه في الحسن من أجل الشعر الهجائي الّذي وجّهه للزبرقان. لذلك حاول من خلال أبيات شعرية أن يستعطف الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ليطلق صراحه من السجن. لذلك قال هذا البيت الشعري المتميز والجميل على النحو التالي:

تقول لأفراخ بذي لحواصل لا ماء ولا

إنّ هذا الاشتياق يعدّ مفهوماً ومعنى مشتركاً وجامعاً بين الشاعرين (الحيطئة وروضة الحاج). إنّ الحطئية يطالب ويلتمس الخروج من السجن لكي يلتقي بأبناء الصغار مرة أخرى لأنّه مشتاق لرؤيتهم كثيراً. وكذلك الحال بالنسبة إلى شاعرتنا روضة الحاج الّتي سئمت من السفر والترحال؛ فهي أيضاً مشتاقة كلّ الشوق إلى رؤية أبناءها بعد مدة طويلة من السفر الّذي أنهكها وأنهك جسمها وروحها معاًوفي موضع آخر أيضاً نرى هذه التقنية (التناص) في شعر الشاعرة بصورة واضحة وجلية. وذلك في المقطع الشعري التالي من قصيدتها التي تحمل عنوان (انكسار) بحيث تقول فيها الشاعرة:

طال الطريق إلى رضاك

(لا... تصالح)

فالّذي وحدي ابتلاني... وابتلاك..[٣١]

إننا نلحظ تناصاً من نوع الاجترار في هذه الأبيات الشعرية وتحديداً في قول الشاعرة (لا تصالح). إنّ هذه العبارة تحيلنا إلى قصيدة معروفة وشهيرة للشاعر المعاصر أمل دنقل، يجدر بنا أن نشير إلى المعنى المختلف والسياق المختلف أيضاً بين الشاعرين والقصيدتين. إنّ الشاعر **أمل دنقل** أراد من هذه الأبيات أن تتم المصالحة السياسية والأمور المرتبطة بذلك، ولكن روضة الخال أرادت شيئاً آخر تماماً. فيقول أمل دنقل قائلاً:

لا تصالحْ

.. ولو منحوك الذهب

أترى حين أفقأ عينيك

ثمّ أثبت جوهرتين مكانهما...

هل ترى.. ؟

هي أشياء لا تشتري...[٣٢]

إنّ هذه النماذج تصوّر لنا الطابع التفاعلي بين النصوص. وإنّ شاعرتنا قد ركّزت على هذا الطابع بكثرة في أشعارها. ويظهر لنا تضلع الشاعرة والمامها بشعر الكثير من الشعراء البارزين العرب. وقد بدى لنا ذلك بصورة صريحة وبيّنة من خلال نماذج التناص الّتي ذكرناها وسنذكرها في هذا المطاف. وفي موضع آخر أيضاً نلحظ اعتماد الشاعرة على بيت شعري للشاعر العظيم المعاصر **نزار قباني**[٣٣].

إنّ الشاعرة في أبيات شعرية لها تقول:

شكراً لقسوتكَ الجميلة سيدي

شكراً لوجهك

حينَ يلبس غير ألواني

التي تلوي حبال مودتي

خنقاً على عنقي

لتقرأك السلام

شكراً على نصل الملامة والملام

شكراً لهذا القهر من عينيك.[٣٤]

إنّنا نلحظ في هذه الأبيات الشعرية للشاعرة روضة الحاج تناصاً من نوع الاجترار وذلك في كلمات (شكراً) التي تكرّرت بين الحين والآخر في القصيدة والأبيات المذكورة. فإنّ نزار قد اعتمد هذا الأسلوب سابقاً في قصيدته الشهيرة والمعروفة التي يقول فيها أبياته الشعرية على النحو التالي:

شكراً لكم..

شكراً لكم..

فحبيبتي قتلت.. وصار بوسعكم

أن تشربوا كأساً على قبر الشهيدة

وقصيدتي اقتيلت..

وهل من أمة في الأرض

-إلا نحن- تغتال القصيدة؟.[٣٥]

لاحظنا معاً هذا التناص الّذي اعتمدته شاعرتنا السودانية روضة الحاج في قصيدتها هذه. وهو تناص من النوع الصريح والمباشر الذي لا يكاد يخفى على أحد. وهو اجترار صريح للكلمات والمفاهيم التي اعتمده الشاعر المعاصر نزار قباني الّذي يعرف بشاعر الحب ولكن الملاحظة الجديرة بالذكر هي أنّ الشاعرة قد اعتمدت تلك النصوص في سياق مفهومي آخر يختلف تماماً عمّا هو عليه عند صاحبه أي نزار قباني، فالألفاظ هي ولكن المفهوم والمعنى يختلف وقد اعتمده الشاعران ضمن نسقه المفهومي الخاص به دون الالتفات إلى ما كان عليه في الأصل وقبل الاجترار في عملية التناص والنصّ المستلّ من النص المصدر عند نزار قباني.وبصورة عامة وبعد دراستنا لنماذج من التناص الديني القرآني ونماذج أيضاً من التناص الأدبي والشعري يمكن ذكر الملاحظات التالية حول التناص في شعر الشاعرة السودانية روضة الحاج: إنّ مصادر التناص متنوع في شعر الشاعرة روضة الحاج فكما قلنا منه ما هو ديني وتاريخي ومنه ما هو شعري وكذلك نجد تناصاً من مصادر أخرى ومختلفة أيضاً. وإنّ الشاعرة اعتمدت على مستويات مختلفة ومتنوعة من التناص ولكن اتّكأت على التناص من نوع الاجترار أكثر من غيره من أنواع التناصات الأخرى في ديوانها الشعري. وإنّ الشاعرة بارعة في اعتمادها للتناص بأنواعه المختلفة في أشعارها في الديوان.

المضامين الاجتماعية في شعر روضة الحاج

إنّ مسائل الشعر الاجتماعي متنوعة ومختلفة، فإنّ هذه القضايا الاجتماعية تتطرق إلى حياة المجتمع في جميع أموره وإنّ الأديب والشاعر يأخذ موضوعاته الشعرية والأدبية من حياته في المجتمع وبصورة عامة فإنّ الشعر مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع البشري الّذي يعيش فيه الأديب أو الشاعر على وجه خاص. وهي تعدّ علاقة قائمة بين الشاعر و بين من يعيشون معه أي أبناء شعبه الآخرين في البلاد الّذي يسكن فيه.[٣٦]

إنّ الأدب السوداني المعاصر بشكل عام والشعر على نحو خاص هو وليد الأجواء التاريخية والقضايا السياسية والاقتصادية وكذلك المسائل الاجتماعية التي مرت بها البلاد في فترة الاحتلال وما بعدها وذلك أدّى بدوره إلى إنتاج بعض الأنماط الأدبية المختلفة مثل: الرواية القصة وغير ذلك من الأنماط الأدبية الأخرى. ومن هذا المنطلق وقع اختيارنا على الشعر ليكون لنا مادة خصبة لدراسة المضامين والقضايا الاجتماعية في شعر الشاعر. إنّ الشعر -وعلى وجه الخصوص الشعر السوداني- يتطرق إلى بعض القضايا والظواهر الاجتماعية التي تحدث في المجتمع بالاضافة إلى المشاكل الاجتماعية التي تتمثل من خلال المشاكل الاقتصادية والمادية وغير ذلك من الظروف المرتبطة بالشعب والنّاس جميعاً في الإطار الاجتماعي في البلاد.[٣٧]ومهما كانت المسائل الاجتماعية في مجال الوطن والوطنية سائدة ومنتشرة في البلاد إلا أن مشاعر الشاعر وأحاسيسه الشخصية تعدّ المحور الأساس في هذا المجال؛ لأنّ الشعر السوداني المعاصر له تاريخ وماض عريق لا يمكن أن نتجاهله أو نغضّ النظر عنه لأنّه كما قلنا مادة خصبة لاستخراج العديد من المضامين التي تساعدنا على تسليط الضوء على الجانب الاجتماعي السائد في البلاد في كلّ فترة تاريخية مرّت بها البلاد.[٣٨]إنّ للمشاكل والإشكاليات الاجتماعية أثر كبير على الشعر. وفي السودان رأينا مثل هذه المشاكل والمحن الكثيرة والمتنوعة الّتي أصابت النّاس وإنّ الشاعر بدوره ووظيفته أن يعكس كلّ ذلك من خلال أشعاره ويعمل على عدم تهميش الواقع الاجتماعي من قبل الساسة الفاسدين وهذه هي مهمة الأديب الملتزم.كما أنّه لا يجب أن ننسى ونغفل الشعر الاجتماعي الّذي يخوض في أهم المسائل الشعرية

التي ترتبط بالجانب الإنساني عند شاعر من الشعراء. إنّ هذا الأمر دعا إلى الاعتناء والاهتمام بهذا الأمر.[٣٩] ومن الّذين كان لهم دور كبير في هذه الحركة الاجتماعية في السودان فيمكن أن نذكر أسماء عديدة منها الشاعرة العظيمة والبارزة في السودان روضة الحاج وهي شاعرة بارعة كانت لها شخصية متميزة في الشعر السوداني المعاصرإنّ الشاعرة السودانية روضة الحاج نالت مكانة متميزة وبارزة في الشعر السوداني والوطن العربي بأكمله وحازت آثارها على رعاية واهتمام كبيرين من قِبل النقاد والدارسين في مختلف أقطار العالم العربي وذلك لغزارة إنتاجاتها الأدبية وصدق مشاعرنا وأسلوبها الفني الفريد من خلال ألقاء الضوء على القضايا الاجتماعية في أشعارها. وإنّ هذه سمة تتفرّد بها روضة الحاج؛ لأنّها أولت بهذا الجانب اهتماماً بالغاًلقد تطرقت الشاعرة روضة الحاج إلى العديد من القضايا والموضوعات الاجتماعية الموجودة في المجتمع السوداني وعكفت على علاج الكثير من المشكلات التي كان يعاني منها النّاس في المجتمع وعملت على تصوير جوانب وأبعاد متعددة من القضايا الاجتماعية في شعرها. وإنّ شعرها زاخر بألوان مختلفة من صور الفقراء من النّاس والطبقات الضعيفة في المجتمع السوداني الّذي كان يعيش حياة ماساوية.إنّ الشاعرة تطرقت إلى مصائب اللاجئين والفقراء وحرمانهم ويما يلقونه الأطفال والأيتام من مشاكل. وقد دعت الشاعرة إلى التعاون الاجتماعي والوحدة الوطنية وترك الخلافات القائمة بين الجماعات في البلاد. ودعت كذلك إلى معالجة المسائل المرتبطة بالمرأة والنساء في أشعارها وكذلك خاضت في مسائل تربية الأولاد والزواج وغير ذلك من الموضوعات الاجتماعية الاخري وصوّرت لنا جانباً من جوانب الحياة الاجتماعية في السودان.وفي هذا الصدد سنحاول جاهدين أن نلقي الضوء على بعض الظواهر والقضايا الاجتماعية التي تهمّ الشعب السوداني وتطرقت إليها الشاعرة السودانية روضة الحاج في شعرها، ومن ذلك ما هو سلبي وما هو إيجابي. من هذا المنطلق سنتناول الجانب الإيجابي أوّلاً ثم سوف نتطرق إلى الجانب السلبي المتمثل في الظواهر السلبية التي كانت موجودة وسائدة في المجتمع وكان الشعب يعاني منها ووجدت الشاعرة مجالاً للتطرق إليها. وهي كالتالي:

١. الظواهر الإيجابية

٢. الظاهر السلبية

الظواهر الإيجابية هناك العديد من القيم التي يمتلكها الشعر المعاصر. ومنها ما هو سلبي وما هو إيجابي. أو السمات والظواهر الإيجابية التي نحن نريد التطرق إليها في هذا المطاف فهي مسائل أخلاقية اجتماعية ترتبط بحياة الشعب في المجتمع. الشعر قوي، ولكن ليست كل القصائد قوية!.. والقدرة على التحول والتغيير موجودة في زوبعة الشعر الإيجابي الذي يقود النفوس إلى طريق الإرشاد والخير والارتقاء نحو أهداف المفكرين والكتاب. أدرك الشعراء واجبهم تجاه مجتمعهم، ولهذا توجهوا نحو حل العديد من مشاكله، وفي مثالين، يمكن إظهار تأثير الشعر في قيادة النفوس إلى طريق صحي، مما ضغط على مراحل عديدة من الزمن، وتحترق لفترة طويلة.[٤٠]من الظواهر الإيجابية قيم أخلاقية. نشهد تنوّعاً للقيم الاجتماعية في الشعر السوداني وتحديداً في شعر الشاعرة روضة الحاج، فإننا نجد الكثير من النماذج التي تصوّر لنا القيم المرتبطة بالأخلاق السامية في القضايا الاجتماعية. وقد اشتمل ديوان الشاعرة على العديد من هذه المفاهيم التي دعت الشاعرة من خلالها إلى التحلي بالأخلاق الحسنة والصفات الإيجابية القويمة التي يحبّها البشر والشعوب المختلفة على طول الأزمنة المتعددة من القديم حتى عصرنا الحاضر.وقد بدى بنا القيم الاخلاقية متنوعاً، قمنا في هذا المجال بتقسيمه إلى فروع وأقسام مختلفة لكي يتبين لنا هذا الجانب بصورة أوضح وقد أتينا بنماذج من شعر الشاعرة السودانية روضة الحاج ومن دواوينها الشعرية المختلفة لكي نقف على اهتمامات الشاعرة بالجانب الاجتماعي والمعيشي التي تطرقت إليه من خلال نصوصها الأدبية والشعرية.

الدعوة إلى الاجتهاد والعمل

إنّ الشاعرة السودانية المعاصرة روضة الحاج التزمت بالاجتهاد والسعي والعمل في الحياة. ومن خلال أشعارها دعت إلى هذا الأمر. لأنّ الشاعرة كان واعية تماماً بالنسبة إلى الواقع الاجتماعي في البلاد. والمعاناة التي كان يعيشها النّاس في البلاد، لذلك رفعت معول العمل ودعت الجميع وحثّتهم على العمل والاجتهاد بكلّ السبل المتاحة في هذا المجال ورفضت الكسل والخنوع والمكوث في محلّ واحد والانتظار.

فنرى روضة الحاج تقول في هذا الصدد في أبياتها الشعرية التالية:

قل لي سافعل رغم ما أدريه عما بعده

قل لي فقد آن الأوان لكي نقول

أولم تكن تدري

وأنت تهبل من ثيح الرماد على النواضر في دماي

بانها يوما ستتعب من لهيب الصبر أولم تكن تدري وأنت تضلل الخطوات

عاما بعد عام

إنني سأضل ثم أضيع تاريخ الفصول

أو لم يشك الظن يوما انني أن طال بي صيفي

وارهقني خريفي او تخطاني الشتاء

مدن المنافي.[٤١]

تمزج الشاعرة بين مفهوم الحبّ والعشق وبين مفهوم الاجتهاد والمثابرة. فإنّ الشاعرة روضة الحاج تطلب من جميع شرائح المجتمع أن يجتهدوا ويقوموا بالأعمال التي يقدروا عليها من أجل إيجاد تغيير في الأمور. والبداية مع نفسها. إنّ الشاعرة تبدأ بنفسها أوّلا، كأنما تريد الإشارة إلى هذه الآية القرآنية التي يقول فيها الله تعالى في قرآنه الكريم: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.[٤٢]إنّ الشاعرة يائسة من التغيير، وإنّ التعب والارهاق أمر طبيعي في هذا المسير ولكن المهمّ هو عزم الإنسان وإصراره على المشي في هذا الطريق المليء بالصعاب. وإن التغيير لا يحدث فجاءة بل يحتاج إلى صبر وتأنّ للوصول إلى الغاية والمطلوب.وفي موضع آخر تعمل الشاعرة على إثارة نخوة العرب من خلال حثّهم على الإقدام ودعوتهم للقيام بما يتطلّبه الأمر في المواقف الحرجة التي تستدعي البطولة والرجولة. فهي تقول بلهجة حزينة في أبياتها الشعرية:

يا خاتم الإبهام

يا ابن المغرب العربي لا تسأل رجوتك إنني والله لا أدري الجواب

أنا كم أحبك خاتم الوسطى ففيك نسائم الشام التى أهوى

وأضواء القباب

الله

هذا النصيف لقد سقط

أنا لم أرد إسقاطه

لكن كفي في الحديد ولا أرى غير اليباب وخلاخلي أوصافها

يا حزن أقدامي التي صعدت حزون القدس سعداً

وانتشت عند السهول.[٤٣]

إنّ الشاعرة تتثبث كما قلنا بما تجده في متناول يدها لكي تحرّك نشوة الرجال وعصبيتهم وتحثّهم نحو الإقدام والبطولة لتغيير مصيرهم ومصير بلادهم. فهي تقول في المقطع الشعري (يا ابن المغرب العربي لا تسأل رجوتك إننى والله لا أدرى الجواب؛ فهي تدعو ابن المغرب العربي ولهذا التعبير دلالة، أوّلا تؤكّد الشاعرة على اسم البلد، أي المغرب وتلحقه بتأكيد أكبر من الأوّل؛ أي العربي وأي شيء أكبر من أن تذكر العربي بعروبته؛ لأنّ هذه الصفة تحرّك الإنسان العربي وتقوّي همّته وعزيمته نحو الاجتهاد والعمل والكفاح في سبيل نفسه وشعبه.وكنقطة أخيرة في هذا المقطع وفي سبيل نيل الهدف المنشود الّذي ذكرناه في هذا المطاف ألا وهو تحريك العزم الرجولي في أبناء الشعب في البلاد، تحكي الشاعرة عن همومها ومآسيها الشخصية والجمعية. ومن الطبيعي أن يعزّ على الرجال في البلاد أن يرون حالة المرأة والنساء جميعاً ثمّ يقفون مكتوفي الأيدي دون حراك؛ كأنّما ينتظرون العزيمة والعمل والاجتهاد من النساء بدلاً من الرجال والشبان في أقوى مراحلهم العمرية.

الوفاء والإخلاص الاجتماعي

إنّ صفة الوفاء والاخلاص من الصفات المحمودة في المجتمعات الإنسانية وعلى عكسها ونقيضها نلحظ صفتي الغدر والخيانة وهما صفات سلبية ترفضها الثقافة العربية من قديم الزمان؛ بدءاً من العصر الجاهلي حتّى عصرنا الحديث وهي صفات بعيده عن المروءة والرجولة. فإنّ من يتحلّى بصفات الوفاء والإخلاص فإنّه يمتلك سمعة محمودة بين النّاس وعلى العكس من يُعرف بين النّاس بالغدر والخيانة، فسيهجره النّاس وسيهجوه الشعراء في نصوصهم الشعرية وسيبقى هذا العار يلحق به مدى الحياة وحتّى نهاية حياته. وإنّ مثل هذا العار لا يمكن أبداً أن يتحمله الإنسان العربي الّذي يسير دائماً نحو المكارم ويسعى ليترك خلفه اسماً كريماً يفخر به قومه وأسرته. وإنّ الشاعرة السودانية روضة الحاج تُشير إلى هذه الصفة الإيجابية في شعرها على نحو بديع وتحديداً في أبياته الشعرية التالية الّتي يتّسم بنفس وجداني كبير وهو زاخر بالإحساس والمشاعر

الصادقة بكلّ ما أوتيت من مشاعر إنسانية موجّهة نحو الخير والصلاح بعيداً عن كلّ ما يلحق بالإنسان من شر. فتقول روضة الحاج في هذه الأبيات الشعرية:

وإلى متى
سأظل أخطىء باسمك الوضاح
إذ أدعو الرفاق
فينجلى السر المصان
دعنى أكتم ما استطعتُ
وإن طفا ما خف من حزنى المسافر فاحتمل.
صاح!!
أعنى على الرحيل
ترى أحقاً يا فؤاد سنرتحل؟ زمناً ظللت أدور أخطيه فى الوجوه
مظنة للخير
حتى جئت كالفجر المطل ياليتنى لما التقيتك
ما احتفلت...
وكيف لى
إذ لحت لى ألا أحتفل؟؟.[٤٤]

إنّ عبارة (إلى متى) والإجابة التي نراها من خلال قول (سأظلّ) هو يبدي لنا ويصوّر لنا قمة الإخلاص عند الشاعرة. تريد الشاعرة نشر هذا المفهوم الاجتماعي في المجتمع لكي يسود الحبّ والوئام في المجتمع وذلك لن يتهيأ سوى من خلال الصدق والوفاء في العلاقات الاجتماعية بين النّاس. إنّ الشاعرة روضة الحاج تتكلم عن نفسها وعن مشاعرها الشخصية ولكن تقدّم بعض المواعظ الاجتماعي في ثنايا حديثها عن الحبّ.

إنّ الشاعرة تحاول أن تعلّم المخاطب والقارئ لأشعارها كيف يتحمّل الصعاب ولا يسلك طريق الغدر والخيانة وكيف على الإنسان أن يجعل الصبر نصب عينيه لكي لا يجعل طريقاً في قلبه نحو الخيانة والغدر وعدم الوفاء في علاقاته الاجتماعية مع الآخرين؛ سواء كان الآخر هو الزوج، الأب، الأم، الأسرة، الصديق أو حتى الغريب. فإنّ المجتمع عند روضة الحاج بمثابة كلّ يضمّ جميع الأجزاء ولا اختلاف فيه بين الصغير والكبير وبين المقيم والغريب. فإنّ الجميع في البلاد أبناء أمة واحدة ألا وهي الأمة العربية الإسلامية التي تنتهج المنهج الإنساني في الحياة.

ومن النماذج الأخرى التي تدلّ على الوفاء الاجتماعي في شعر الشاعرة السودانية روضة الحاج يمكن الإشارة إلى الأبيات الشعرية التالية وهي قمة في الوفاء والإخلاص, تقول فيه الشاعرة:

على كلِ أنا أهواك حد الموت
صادقة.. و واثقة
وما في حبتى إلا الهوى والصدق والإيمان
من وفاء إدريس وقبل أن توقعوا
وقبل أن تفاوضوا
وقبل أن تقايضوا
وقبل أن تشاوروا... تحاوروا... تقرروا....
وقبل أن تصوروا البيان في ختامه الأخير تقبلوا تحيتي وعاطر السلام!!
تقبلوا دمي جرى على الطريق حائراً غريب تقبلوا مشاعري دفيئة كأنها الوطن
تقبلوا صراحتي
فعندما أيقنت أن ذلك الحزام
بين سترتي وخطوتي هو الثمن

دفعته!!.[٤٥]

إنّ الوفاء والإخلاص ربّما أحياناً وفي ظلّ بعض الظروف يبلغ مبلغاً يرغم الإنسان على أن يدفع دمه وروحه وحياته ثمناً لذلك. وإن لم نفعل ذلك، فإنّنا غير صادقين في حبّنا ووفاءنا وفاء مزور لا حقيقة له أبداً ولا يمكن أن نعتد به. إنّ الشاعرة تسلط الضوء على الوفاء الاجتماعي العام الّذي يستعد الإنسان أن يدفع كلّ حياته ثمناً له. إنّ هذه العبارات الشعرية الدالة على الوفاء الصادق من قِبل الشاعرة هو في الواقع حثّ لأبناء الشعب السوداني بالوئام والاتحاد فيمابينهم وذلك بأمل تأسيس مجتمع يسكنه الوئام والحبّ والوفاء من جميع الاطراف والاتجاهات نرى تكرار مثل هذا المشهد في مقطع شعري آخر للشاعرة السودانية المحبّة روضة الحاج، وإنّها تشير إلى الوفاء والاخلاص الاجتماعي المتمثل في الحبّ في الأبيات الشعرية التالية أيضاً؛ فروضة الحاج كما قلنا وعلمنا هي شاعرة عاشقة وإنّ آثارها الأدبية تتمتّع بصبغة إنسانية تدور حول الحبّ والمحبة، فتقول الشاعرة في هذه الأبيات:

أنتظر النسيم إذا هفا صوبي

لأعرف كيف تختصر الفصول وكيف يبتدر السلام

ليلي

أحقاً لن أراك إذا رجعتُ الى هناك؟؟

لا ليس في وسعي

تصور أن أعود فلا أراك

لا لست أقدر

رسم خاطرة لعرس عابر حتى

ولست به.. ندى يهمي.. وحناءاً وأصفى ضحكة عبرت

كطيف من صفاك ليلي أيا دوارة للشمس تعرفها الحقول الخضر

والبيد اليباب

ليلي

أيا أمنيةً نشتاقها

شدواً يبز بلابل الدوحات

يطرب خافقاً ألف العذاب ليلي أفتقدتك مثل (زازان) أنا

إنت التي عودتيني

أن أستريح لديك من دون الصحاب.[٤٦]

إنّ الشاعرة السودانية العظيمة والمتميزة روضة الحاج تعبّر في هذه الأبيات عن حبّها واشتياقها إلى المحبوب. إنّ حبّ الشاعرة ليس كحبّ الآخرين بل هو حبّ يتخلله الوفاء والاخلاص الصادق ويبدو لنا ذلك من خلال العاطفة الصادقة والخيال الشعري المرهف التي تعتمده الشاعرة في أبياتها الشعرية. إنها تقول في هذه الأبيات بأنّها متعودة على الحبيب وإنّها ملتزمة بحبّها الخالص له دون أن يشوبها أي شعور بالعذاب والألم وإنّ العذاب الوحيد التي تشعر به وتتألم من أجله هو الشعور بالغربة والابتعاد عن المحبوب.إنّ الشاعرة تريد أن تعلّم أبناء شعبها وابناء الأمة العربية بصورة عامة كيفية الحبّ الصادق وصفات المحبّ والعاشق الملتزم بالنسبة إلى محبوبه ومن يحبّ في الحياة. فإنّ ديدن الشاعرة هو الإشارة إلى الحبّ والوفاء الاجتماعي على مستوى الأمة والمجتمع وهو كما قلنا: إنّ الشاعرة تحاول إبراز صفات المحبّ والمحبوب من خلال نصوصها الشعرية الجميلة.

الحب و الوطن

الوطن في اقرب تفسير، هو مكان من الارض وجماعه من الناس، يرتبط بهما الانسان نفسيه و ثقافيه و اقتصاديه. متاثير هذا العامل لايحتاج الى برهان. الوطن موضوع اجتماعى سياسى لان اول ما يميز سمات المعالجه الاجتماعيه فى التجربه الشعريه هو وعى علاقات الواقع. و الوعى ارتباط نفسى و فكرى بقضيه او اكثرمن قضايا الجتمع فى الوطن اولا و فى العالم ثانيا ولا يتاتى هذا الا باقتناع داخلى قوى بتلك القضيه، وبجراه واضحه فى الالتزم بها و التعبير عنها. وشاعرتنا روضه الحاج ذاقت طعم الحب الى الوطن وتخاطب الوطن وتقول:

ياموطني

لو كان لي ان ارتديك عباءه (ثوبا)

وملحفه

وشالا من ضياء

لفعلت يا وطني!!

وسرت كانني في الارض سيده النساء!!

لو كان لي

ان اقتفى اثر النقاه الطيبين

تئضاوا بعفافهم

لبسوا دثاركفافهم

حملوك طي شغافهم

وقلت لهذه الدنيا انظري!

هذي مظان الكبرياء

لوكان لي

اذن الدخول الى قلوب المتعبين

لحكيت قصه صبرك الاسمى

فواستهم

واستهم

لوكان لي

يا موطني الاغلى

عصاموسى

فقلت بحارحزنك ايها الغالي

لتعبر!!

صوب آفاق الرجاء[٤٧]

قصيدة هل كان حباً يا ترى؟ تتحدث الشاعرة في قصيدة (هل كان حبًا يا ترى؟) عن الحب الذي مضى وأسبابه التي تلوم نفسها عليه، وفيما يأتي نص القصيدة:

أنا لستُ عاتبة عليكْ

لكن على الزمن الرديْ

أنا لستُ غاضبة عليكْ

غضبي على قلب نديْ

أنا لست نادمة على شيءٍ مضى...

المظاهر الاجتماعية السلبية

للحفاظ على التمييز بين ما هو أدبي وما هو أدبي، يطرح هذا المقال الأسئلة الاستفزازية التالية: هل نحتاج إلى نظام معين للدراسات الأدبية؟ لماذا لا يمكن استيعاب دراسة الأعمال الأدبية في نظام أوسع متصل أو مشتت بين عدة أنظمة؟ رداً على ذلك، يقدم المقال دراسة الأدب كدراسة السلبيات ويجادل بأنه من الضروري أن تكون الجامعة موقعًا للنقد في عصر يهدد الاستبداد.[٤٨] الأدب، كعمل خيالي، يكمن بشكل لا يعتمد عليه، وبالتالي يعرض أكثر أنظمة الأكاذيب تعقيدًا في نسيجه. تدرس الورقة هذا النظام في روسو، وبودلير، وبروست، وفرويد، ودريدا، وتكشف دراسة الأدب عن هذا الخطر، وتخلص الدراسة إلى أن دراسة الرواية ضرورية، لأن الرواية تستغلها قوى الاستبداد بنجاح متزايد.[٤٩]شارك الشعراء في المعاناة التي كانت ولا تزال تصيب كلّ شعب من الشعوب. وقد زخر الشعر السوداني على طول الزمان بألوان من النقد الاجتماعي والقضايا

الاجتماعية المرتبطة بعادات النّاس وظروفهم السيّئة والمأساوية التي يعانون منها في البلاد. وإنّ الشاعرة روضة الحاج مثلها مثل سائر الشعراء العرب في البلدان المختلفة قصدت من كلّ ذلك إصلاح المجتمع وإصلاح العادات الاجتماعية المسيطرة في البلاد في سبيل توجيه ذلك نحو الإصلاح العام.من النماذج التي اعتمدتها الشاعرة في بيان المظاهر الاجتماعية السلبية في شعرها، يمكن الإشارة إلى الخيانة والغدر في المحبّة والصداقة بين النّاس وكلّ ذلك يتسبب في نهاية المطاف إلى الفساد في كتلة المجتمع ويتسرب ذلك الأخلاق السلبي إلى جميع الأفراد في المجتمع وهذا داء عضال للمجتمع والقيم الاخلاقية والاجتماعية التي توجد في المجتمع.

ليس بالإمكان أن يعين أن بيننا من العذاب ما أحبه
وبيننا من السُّجُون ما يظل عالقاً
وقائماً وصادقاً ليوم يبعثون..
وأننا برغم هذه الجراح والثقوب والندوب آيبون
وأننا
وان تواطأ الزمانُ ضد وعدنا الجميل مرةً ففي غد كما نريده يكون
وأنني
بمقلتيك سيدي بقلبك الكبير مثل حُبنا أردتُ أن أقيم دائماً إلى الأبد
يسألنني وينتظرن أن أرد وما درين أن لحظةً من الصفاء
قرب وجهك الحبيب
بانفعالك الحبيب تُقرر الندى.[٥٠]

إنّ الشاعرة الموهوبة روضة الحاج تصوّر لنا في هذه الأبيات الجميلة والمتميزة مفارقة وثنائية جميلة تعكس لنا من خلال هذه الصورة الواقع المسيطر في المجتمع السوداني من الناحية الاجتماعية. "فمن جهة نواجه الأفراد الّذين فطروا على الغدر والخيانة واللامبالاة بالنسبة إلى المسائل الاجتماعية ومن جهة أخرى نواجه شخصية تحترم الحبّ والمشاعر الصادقة. وهذا بطبيعة الحال أمر بديهي في جميع المجتمعات الإنسانية ولا مفرّ منه على أيّة حال.إنّ الحاج تعكس القضايا الاجتماعية السلبية إلى جانب ما ذكرناه بالنسبة إلى القضايا والأمور الاجتماعية الإيجابية لتقول إنّها مدركة بالنسبة إلى الموضوعين على نحو كامل. فروضة الحاج لها نظرة واقعية وسطية بالنسبة إلى الواقع الموجود في المجتمع وهي تصوّر كلّ ما تراه في المجتمع وتنقله نقلاً مخلصاً واقعياً كما هو في الحقيقة.

الحزن والكابه

لايمكن ان نتوقع اكتمال صوره الانسان في ملامحها الخارجيه العامة من غير ان تتدخل عاطفة الشاعر الخاصة لتضيف البعد النفسي وحرارة الرمح و تدفق الشعور الذى يتواشج مع بقيه خطوط الصوره ويمنحها نبض الحياتو قابليه الحركة والتاثير" ومن الظواهر العاطفية يقابلنا ظاهره الحزن. و ذلك لمايمثله الاحباط و الحرمان و المرارة من دور بارز فى حياة الانسان العربى، ولما تحتله الحساسية والرعبة فى التغييروالاحتجاج على الواقع من مساحة واسعة فى تجربته الحضارية. و لايخلو ادب او شعر فى الدنيا من الحزن لانه عاطفة انسانية.روضه الحاج عالجت موضوع الحزن في قصيدة (اليوم أوقن أنني لن أحتمل) تعترف الشاعرة في هذه القصيدة عن عدم قدرتها على الاحتمال وأنها لم تعد تصبر لأنها كانت السبب في حزنها عندما سمحت للحبيب أن يتحكم بها:

اليوم أوقن أنني لن أحتمل!
اليوم أوقن أن هذا القلب مثقوب ومجروحٌ ومهزوم
وأن الصبر كلٌّ
ولوح لجة حزني المقهور تكشفُ سوقها كل الجراح وتستهلْ
ذا أوان البوح يا كلَّ الجراح تبرجي
ودعي البكاء يجيب كيف وما وهلْ
زمنا تجنبت التفاؤل خيفةً فأتيت في زمن الوجلْ
خبأت نبض القلب

كم قاومتْ

كم كابرتْ

كم قررتْ

ثمَّ نكصت عن عهدي، أجلْ[٥١]

ومنعت وجهك في ربوع مدينتي علقته

و هي في قصيدة: هل جهات الحزنِ أربع؟ تروي قصة حزنها روضة الحاج في هذه القصيدة ومعاناتها مع الحبيب وكيف أنهما وصلا إلى ما هم فيه من حزن وألم: عامنا الرابع جاء

وكلانا متعب الروحِ

ومصلوب على باب الرجاءْ

أرهقتني هذه الحمَّى وأعياني الدواء

وعامنا الرابع يا روحي أطَلْ

وكلانا خجل من أمنيات[٥٢]

مظاهر الثقافة الاجتماعية–الدينية

حظي موضوع الثقافة الدينية بأهمية في الأدب والشعر، خاصة في الآونة الأخيرة، لأنه يمثل وجود الجانب الديني ورموزه في الأشعار والإبداعات الشعرية، وتطبيق الإسلام بأشكاله المختلفة. الفروع ليست ظاهرة حديثة بل ظهرت منذ بداية الأدب في فنونه المختلفة. فمثلاً نجد الحج في مجموعته الشعرية الموروثة من اندماج الموضوعات التي تناولها القرآن في إبداعات بعض الشعراء العرب واعتمادهم على حياة الرسول وصفاته الحسنة. وقد قام به الصحابة لحل العديد من المشاكل التي كانت تعاني منها مجتمعاتهم، واستقطاب المزيد من العناصر الدينية لانتقاد الناس من أجل إصلاحهم وتغييرهم.[٥٣]ومن نماذج ذلك في شعر الشاعرة السودانية روضة الحاج، يمكن الإشارة إلى النماذج الشعرية التالية التي استخرجناها من ديوان الشاعرة بصورة اعتباطية وتدلّ على تركيز الشاعرة واحاطتها بالنصّ الشريف القرآني والعلوم الدينية المختلفة وهذا يبرز جانباً من جوانب ثقافتها التي تتمثل في الدين والقرآن:

فتجلدي وتصبري وتجملي

رفعوا السواري البيض

منذ الأمس ينتظرون فلتأمر...

ووحدك من يُطاعُ إذا أمر

خذني إليك مع صلاة الفجر

وقت الليل يدبر قبل إمضاء القمر

خذني إليك إذا أتى وقت السحر

خذني إليك فعندما نتلو معاً من سورة (الرحمن)

جزءاً يستريح القلب باقي العمر

ليس يهمني من بعد إن يبقى وإن يمضى العُمُر..

في مقام الحزن المترف حرصي على عينيك يمنعنى البكاء

من أجلها أقتات

أحزان النهار وحيدةً

وأدس أنات المساء

الله لو تدرى إجتهاد تبسمى.[٥٤]

إنّ الشاعرة قد ركّزت في هذا المقطع الشعري على مظاهر من الثقافة الدينية–الاجتماعية في المجتمع. إنّ الشاعرة السودانية روضة الحاج تركّز على هذه المضامين الدينية والاجتماعية لتقترب بشعرها من عامة النّاس وتتمكن من الارتباط بجميع شرائح المجتمع. إنّ الشاعرة تحكي لنا عن الآداب الاجتماعية المتمثلة في الدين من خلال هذا الجزء من المقطع الشعري الّذي تقول فيه:

خذني إليك مع صلاة الفجر
وقت الليل يدبر قبل إمضاء القمر
خذني إليك إذا أتى وقت السحر
خذني إليك فعندما نتلو معاً من سورة (الرحمن).[٥٥]

تعتمد الشاعرة السودانية روضة الحاج نفس هذا الأسلوب الشعري المذكور في مقطع آخر من شعرها أيضاً وذلك من خلال الاستعانة بآية قرآنية معروفة. تقول الشاعرة في هذه الأبيات الشعرية المتميزة من ديوانها الشعري (الجزء الثاني) الّذي يحمل عنوان، في الساحل يعترف القلب:

فدع التساؤل إن طفا حزنى وسافر واتقد
واعلم بأنك من أعوذُ بدفئه
من زمهرير الكون والزمن الألذ
واعلم بأنك من أجىء دياره
فلا أحد.
واعلم بأنى حين تخنقنى الحروف المجدبات
وتصرخ الأحزان حولى فى كبد أحتاجُ وجهك أستغيث أيا مدد!! وبك المدد
يا صاحبي..
ماذا عساي أقول
للشوق الذي ملأ المكان؟
وبما عليك سأستعين؟.[٥٦]

إنّ هذه الأبيات الشعرية تحيلنا وبصورة صريحة إلى الثقافة الدينية والقرآن على وجه التحديد. وإذا تعمقنا فإننا سنرى أنفسنا أمام هذه الآية القرآنية (١٣ من سورة الإنسان) وقوله تعالى في القرآن الكريم، حيث يقول: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾.[٥٧] إنّ الشاعرة اعتمدت هذا البيان المعروف من القرآن الكريم لتضفي على أدبها وشعرها طابعاً دينياً اجتماعياً أكثر. إنّ هذا الإجراء يثري النصّ من جانبين: الأوّل: يساعد في تعزيز المعنى ويقوي المفهوم. ومن جانب آخر: يقترب النصّ الشعري من ثقافة النّاس الاجتماعية المتمثلة في الدين والمسائل الدينية التي لا يمكن أن نفصلها عن حياة النّاس الاجتماعية في البلدان الإسلامية الّذين يهتمون بشعائر الدين والقرآن كثيراً. ومن النماذج الواضحة والصريحة التي تبيّن لنا توجّه الشاعرة إلى المفاهيم الاجتماعية المتمثلة في الثقافة الدينية هو المقطع التالي من شعرها. وإنّ ذلك يتبلور لنا من خلال عدة مفاهيم منها ما هو مباشر وصريح ومنها ما هو على سبيل الإشارة والتضمين الغير مباشر. تقول الشاعرة في الأبيات التالية من شعرها:

بقبة ومسجد هما الحياة والتاريخ والمطاف
أن تسمحوا للدمع بالرحيل
أن تشكروا الحزن على الوفاء
أن تعلنوا الحداد فى مدائن العدم
أن تبدلوا اللاءات كل خطوة طريقها نعم
وقبل أن تشاوروا
تفرّسوا الطريق مرتين
إلى الجنوب مرة ومرة الى الشمال
مزارعاً تستوحش الغريب

لا الكف كف من يحبها ولا العرق

تتوق للغناء فى مواسم الحصاد وللنساء جئن بالغداء ساعة النهار

وعدن بالحياة كلها مع الشفق تتمتم الصباح والمساء

تعوذ بالرحمن ربها من شر ما خلق.[٥٨]

إنّ الشاعرة تتحدّث حول بعض المفاهيم الاجتماعية المرتبطة بالجانب الديني في شعرها وتحديداً في المقطع التي تقول فيه: (بقبة ومسجد هما الحياة والتاريخ والمطاف)، فإنّ القبة والمسجد من المظاهر الاجتماعية والثقافية التي تصوّر لنا المجتمع الإنساني الذي يعتنق الدين الإسلامي. وهذا كلّه سمة تميز هذا المجتمع عن غيره من المجتمعات الأخرى. ولا يفوتنا أن نذكر الشطر الأخير من هذا المقطع الشعري وهو مستل ومأخوذ على سبيل التضمين صراحة من آية قرآنية من سورة النّاس القرآنية في الجزء الثلاثين والأخير من القرآن الكريم.

مظاهر الثقافة الاجتماعية–البيئية

إنّ العلاقة القائمة بين الإنسان والبيئة التي تمثل الطبيعة من حوله في جميع ظروفها، هي علاقة متشابكة لا تنفصم، ويؤثر كل منهما على الآخر. لا يمكننا أن نتخيل الكاتب العربي بمعزل عن البيئة، لكن ننتبه لها وحدث التفاعل بينهما. اليوم، في جميع أنحاء العالم، نجد اتجاهات تخشى التأثير السلبي لهذه العلاقة من قبل البشر على البيئة. في ما يلي، أظهرنا اهتمام الكاتب العربي ببيئته.[٥٩]وفي الإطار العام يتماشى مع الاهتمام العالمي بقضية البيئة لذلك، أخيرًا، نشأ الاهتمام بالبيئة من خلال الأدب والمناهج المدرسية بهدف تثقيف الأجيال بعقول جديدة تفهم مفهوم الثقافة البيئية وتسعى لتطبيقها... أحدثت تغييرات في طرق التفكير والبيئة السلوك في المجتمع بحيث يتصرف كل شخص فيه كما لو كان صانع قرار بالغ. وهنا الكاتب العربي له تأثير على الوعي وله الأدب رسالة تواكب تقدم الحياة وتتفاعل مع الأحداث والمستجدات.[٦٠]من الواضح بأنّ الأدب هو انعكاس للواقع على شكل فن، ومن خلال الأدب تثار جميع القضايا دون استثناء، ولأن الواقع يتغير بشكل مطلق، فإن جميع أنواع الأدب تتغير أيضًا وفقًا لتغير الواقع ينعكس كل تغيير يحدث في حياتنا فيما تقدمه الأدبيات، بما في ذلك التغيرات التكنولوجية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الواقع، لا يوجد شيء لا يمكن استخدامه كموضوع لعمل أدبي.[٦١]وقد التفتت الشاعرة السودانية روضة الحاج إلى المظاهر الاجتماعية المتمثلة في البيئية على نحو واضح وصريح في نصوصها الشعرية. فهي شاعرة ابن بيئتها وتسعى دائماً لتصوّر أجواء البيئة التي تعيشها في أشعارها. ولكلّ ذلك دلالة وزيادة في المعنى والمفهوم، إنّ الجانب البيئي يمكن له أن يعكس مفاهيم كثيرة ومتنوعة يريدها الشاعر من خلال هذه الإشارة؛ لذلك نرى أنّ روضة الحاج قد وظّفت هذا الجانب بعبقرية مثالية. من نماذج هذه الظاهرة في شعر الشاعرة السودانية روضة الحاج يمكن الإشارة إلى نماذج مختلفة من ديوانها الشعري، نبدأ حديثنا في البداية مع هذا المقطع والأشطار الشعرية:

قولي فمن طرقات بيتك كنت ألتقط الحصى والزهر

أنتظر النسيم إذا هفا صوبي

لأعرف كيف تختصر الفصول وكيف يبتدر السلام

ليلي

أحقاً لن أراك إذا رجعتُ الى هناك؟؟

لا ليس في وسعي تصور أن أعود فلا أراك

لا لست أقدر رسم خاطرة لعرس عابر

حتى ولست به.. ندى يهمي.. وحناءاً وأصفى ضحكة

عبرت كطيف من صفاك ليلي

أيا دوارة للشمس تعرفها الحقول الخضر

والبيد اليباب

ليلى

أيا أمنيةً نشتاقها

شدواً يبز بلابل الدوحات

يطرب خافقاً ألف العذاب ليلى أفتقدتك مثل (زازان) أنا

إنت التي عودتيني

أن أستريح لديك من دون الصحاب.[٦٢]

إنّ الشاعرة قد تطرّقت في هذا المقطع الشعري من ديوانها إى وصف بعض المظاهر البيئية المحيطة بها وذلك في السياق المرتبط بالحبّ والمشاعر المرتبطة بالحبّ الصادق التي تشعر به إزاء محبوبها. إنّ الشاعرة تعتمد الوصف من خلال ظاهرتين: ظاهرة الوصف للطبيعة المتحركة والحية مثل (بلابل الدوحات) إلى جانب ما تعتمده من وصف للطبيعة الصامتة الفاقدة للحركة والحسّ مثل: البيد اليباب. إنّ الشاعرة السودانية تعتمد على كلا الجانبين في وصفها للطبيعة على نوعيها المتحرك والحي والوصف الصامت. وذلك لإضفاء الدلالات والمفاهيم المختلفة على شعرها من هذا المنطلق والإطار. إنّ روضة الحاج لم ترد الوصف من خلال تطرقها إلى الوصف بل أرادت من الوصف الإشارة إلى المفاهيم الكامنة في ذات الوصف والموضوعية التي يمكن أن نستوعب من خلالها المعاني التي تريد منها الشاعرة.وبصورة عامة إنّ التطرق إلى المظاهر الاجتماعية المتمثلة في البيئة ليس أمراً جديداً في حدّ ذاته، فإنّنا نرى ذلك في الشعر القديم منذ العصر الجاهلي حتّى عصرنا هذا ولكن الأمر المهم في ذلك هو توظيف هذا الوصف في إضفاء المعنى والدلالة على النصّ الشعري. وهذا بالفعل هو ما قامت به شاعرتنا السودانية روضة الحاج في نصوصها الشعرية التي تمتاز بالتالق والتفرد من ناحية الشكل الشعري والمضمون الدلالي.والنماذج الأخرى التي يمكن الإشارة إليه في شعر الشاعرة، فهي الأبيات التالية التي أشارت إليه الشاعرة إلى بعض المظاهر المرتبطة بالثقافة البيئية من ذلك أشعارها التالية:

فيستجيب في ظهيرة النّهار!!

تختصر الزنابق الورود والعبير والبحار

تطير بي إلى مشارف الحياة

حيث لا مدائن ورائها ولا قفار

يسألننى ألم تزل بخاطري

وقد مضى زمان وعاقنا الزمان

وما علمن أنّ ما أدسُهُ

بجيبه السرى ضد حادثاته

ابتسامة من البروق فى مواسم المطر

سرقتها من وجهك الحبيب وادخرتها

تميمةً من الجراح والعيون والخطر

يقلن..

كيف لم تغيّر الجراح طعم حُبنا وعِطره

ولونه الغريب

وينتظرن أن أجيب

وكيف لي وأنت في الأطفال

والصحاب والرفيق والصديق والحبيب.[٦٣]

أمّا الصور البيئية التي تصورها الشاعرة فهي تتمثل في **مواسم المطر** وهي دلالة إلى القلة الظروف الجغرافية التي سائدة في المجتمع. وهي خاصية تخصّ البيئة السودانية التي تعرف بشحّ في المطر. وقد التفتت الشاعرة السودانية روضة الحاج إلى المظاهر الاجتماعية المتمثلة في البيئية على نحو واضح وصريح في نصوصها الشعرية. ومن النماذج الأخرى التي يمكن الإشارة إليها في هذا الصدد.

تقول روضة الحاج الشاعرة السودانية في هذا الصدد:

خذنيي إليك الآن يا جرحاً أعالجه

فيزداد إحتدام

خذني إليك الآن يا حزناً أغالبه

فيغلبني.. ويمعن في المقام خذني إليك فإنه فصل الخريف

وأنا أخاف من المطر

الريح حين تهب أدرك أنني وحدي

وضدي هذه الدنيا بأجمعها

الرعد حين يضجُ

أشعر أنه من دون كل الناس

يعنيني بغضبته

البرقُ حين يَشعُ

أفهم أنه سيضيء في قلبي دياجير الحذر

وسيعرفُ الناسُ الذي أخفيته يتخطفونك يا أنا.[٦٤]

تناولت الشاعرة السودانية روضة الحاج المظاهر الاجتماعية للبيئة بشكل واضح وصريح في نصوصها الشعرية. إنه شاعر بيئته ويسعى دائمًا إلى تصوير البيئة التي يعيش فيها في قصائده كل هذا له دلالة وزاد معنى ومعنى. يمكن أن يعكس الجانب البيئي المفاهيم العديدة والمتنوعة التي يريدها الشاعر من خلال هذه المرجعية. لذلك يمكننا أن نرى أن روضة الحج استخدمت هذا الجانب بعبقرية تامة.

مظاهر الثقافة الاجتماعية–الشخصية

لا يعدّ الأدب صورة مستقلة عن المجتمع والمسائل الاجتماعية. بعبارة أخرى: إنّ الأدب ينتجه المؤلف في واقع اجتماعي. الواقع في الأدب هو وجهة نظر مبنية يؤثر فيها الواقع الاجتماعي عليه وحدث أن الأدب كان مرآة للمجتمع تنعكس فيه الحقائق الاجتماعية التي تحكم المؤلف من خلال تفسيره واستجابته لها. فإنّ الباحث يجري وراء أهمية البحث في هذا الموضوع لأن العلاقة بين الأدب والمجتمع علاقة متجذرة ومتماسكة، والفن بشكل عام أو الأدب بشكل خاص لا ينتج إلا كمجموعة، وإذا قلنا إنه يخلق الفن فهو ليس صحيحا. استمتع بها بنفسك أو تقول القصيدة أن تسمعها بمفردك.[٦٥]تطرقت الشاعرة السودانية إلى الظواهر الاجتماعية–الشخصية التي برزت بصورة واضحة في نصوصها الشعرية. أمّا الميزة الأساسية والمهمة في شعر الشاعرة هي تصوير الواقع والحقيقة التي عاشتها وصاغتها الشاعرة في الصور الشعرية الصادقة التي تعبر عن إحساس وشعور حقيقي بالنسبة إلى مجتمعهاولا نبالغ إذا قلنا بأنّ شعر الشاعرة روضة الخال كان ثورة على التقاليد السابقة من خلال طرح الأساليب والموضوعات القديمة واللجوء إلى الموضوعات الاجتماعية المرتبطة بالحياة الشخصية ومظاهرها التي يتعامل معها الإنسان على طول الأيام والساعات في الليل والمساء. وإنّ الشاعرة تصف لنا المظاهر الاجتماعية وصورتها بصورة دقيقة جدّاً. وهذا الأمر بطبيعة الحال يؤدّي إلى الاقتراب من النّاس بصورة أكبر. من هذا المنطلق، سنشير إلى بعض النماذج من شعر الشاعرة في هذا الصدد، من ذلك أبياتها الشعرية من ديوانها المميز الذي يحمل عنوان: مدن المنافي

والمقاعد..

لن أثور در في فضاء البيت

دع قلبي يدور قل لي محمد

كيف يبدو البيت بعدي في المساء

الشاي والتلفاز والضوضاء والصخب الجميل

وانت تصطنع البكاء أولم تزل ذاك الشقي

يضح دوما في العشاء؟ من شوقي إليك محمداً

الله.[٦٦]

والقلب يهتف في المساء

لا تمش من غير لا حذاء

اغسل يديك قبيل أو بعد العشاء

لا تلتفت إن كنت في حال الصلاة

الحق محمد: بائع الألبان جاء!

الله من بعد الح ومن حنين اكتوى من ناره

وحدي محمد

اصطلي بلهيبه وحدي وأشقى بالرحيل أنا كنت مالي

واختيار الوعر من دون السبيل

قض اللاج

اشتاقك الآن

الصباح العذب..

والعصر الجميل

اشتاق همسك في العشيات الندية بعد أن يمضى الأصيل

انا قد حفظت

لأجل وجهك يا محمد ألف أحجية.. وأغنية وموال طويل

وحجزت تذكرة التواجع نحو شطان التوحد.[٦٧]

إنّ الشاعرة تلتفت إلى أقل الأشياء وأصغر الموضوعات المرتبطة بالمظاهر الاجتماعية المتمثلة في حياة النّاس الشخصية في المجتمع ويظهر لنا ذلك في مستويات مختلفة ومتعددة من حياة الإنسان والشعوب المختلفة. إنّ روضة الحاج تؤكّد على مثل هذه المضامين في أشعارها كثيراً. ويبدو لنا ذلك أكثر ما يبدو من خلال تطرّق الشاعرة واهتمامها بدقائق الحياة وتفاصيلها لدى النّاس من مختلف الشرائح والطبقات.مثلما تقول في هذه الأبيات الشعرية المذكورة في قولها: (كيف يبدو البيت بعدي في المساء الشاي والتلفاز) وهي تركز في هذا الموقف على العادات والسلوك المرتبطة بحياة النّاس في دائرة الأسرة والعائلة وهي تمثل النطاق الشخصي للإنسان. وذلك كما قلنا: عادات الإنسان التي تنبع عن الثقافة الفردية والجماعية المتصلة نوعاً ما بعادات النّاس وثقافتهم السائدة في المجتمع. وبصورة عامة عندما تنتشر ثقافة ما في بلد من البلدان فهي علامة كبرى على أهمية تلك العادة والسلوك في المجتمع وعند النّاس جميعاً ككل متماسك ومنسجم يمثل المجتمع. ومن النماذج الأخرى التي يمكن الإشارة إليها فيما يتعلّق بتطرق الشاعرة واهتمامها الكبير والخاص بالنسبة إلى مظاهر الحياة الاجتماعية –الشخصية في أدبها –والشعر على نحو خاص– هي ما ظهر لنا من خلال مقاطع شعرية للشاعرة في ديوانها المتالق والمميز الذي يحمل عنوان: للحلم جناح واحد

تعاويذ على جدار الهزيمة

يخرجك الذين تحبهم

فردا تهوم قسرا في الفلاة وفي الدروب وفي الشعاب

أو مخرجي؟!

فعلت ياكل الذين احبهم وتركتني وحدي أهوم لا رفاق ولا ديار ولاصحاب

من أين أبدأ

حين أشرع في إقتلاعك من دمي

قل لي

فوحدك من صعدت ومن هبطت و من وقفت بكل شريان و باب الآن قل لي

قبل ان يرتد لي طرفي

فما أنا بانتظار سواك يأتيني يقيناً

بالجواب

قل لي فآخر أمنياتي هذه وأشدها نصلا علي

من أين أبدأ حين أشرع يا أنا

تدري بانك كنت أقرب في دمي مني

أنا حين جئت إليك ما كان إختيارا في يدي

ما كنت أملكها يدي

أنا حينما أوقفت عمري رهن عمرك

كنت أعرف أنني أعطيت ما إستبقيت شيء

من اين قلي

سوف أبدا بإقتلاعك من شراييني التي ما خبات إلاك

ام من قلب أوردتي التي جعلتك وجهتها.[٦٨]

إنّ الشاعرة أشارت إلى التعاويذ المعلّقة على الجدار، وهي إشارة صريحة إلى معتقداته ومعتقدات النّاس جميعاً في تلك المنطقة الجغرافية التي يتوسّل فيها النّاس إلى مثل هذه التعاويذ في الوصول إلى أهدافهم. إنّ ذلك يعكس الجانب العقيدي في الثقافة الاجتماعية عند النّاس. تعدّ التعاويذ نوعاً من الشعوذة التي يلجأ إليها بعض النّاس عندما يشعر بيأس من فاعلية الأمور المادية في الحياة والدنيا بصورة عامة.وربّما كان فعل (تعليق التعاويذ) على الجدار كناية وتعريض إلى أنّ الشاعرة فقدت أملها من الوصال والحبّ عن طريقه الحقيقي الّذي كانت تعتمد عليه في أمورها. وإنّ إشارتها إلى هذا الأمر يدل على أنّها سلكت جميع الأمور وجرّبت جميع القضايا لحلّ هذه المشكلة في حياتها ولكنّها لم تصل إلى أي نتيجة تذكر. لذا تقوت لم يبق لها سوى أن تلجأ إلى مثل هذه الخرافات لعلّها تجد في ذلك حلّاً لمشكلاتها التي تواجهها في الحياة والحبّ.

الشخصيات الشعبية–التاريخية

إنّ استدعاء الشخصيات يعدّ من العناصر الممهة في مجال التعبير الّذي يلجأ إليها الشعراء بصورة عامة والشاعر المعاصر على نحو خاص. يقوم الشاعر بهذا الأمر ويعتمد هذه التقنية لإضفاء سمة الحداثة على شعره من خلال غايته إلى تشكيل عالمه الفكري والعقيدي الّذي ينبعث من المجتمع ومن أفكار الشعب.وذلك يرجع أوّل ما يرجع إلى الإشارة إلى المأزق الإنساني الموجود في المجتمعات المختلفة.[٦٩] وذلك تأثير أكبر في بيان المفاهيم؛ لأنّ الشعب يحمل بالنسبة إلى ذلك ذاكرة تاريخية قوية تُثري الجانب المضموني والموضوعي في الأدب والشعر على نحو خاص. وهذا يرجع كما قلنا إلى الخلفية التي تتضمنه الشخصيات في فكر الشعب والنّاس في المجتمع. لا يختصر ذكر الشخصيات على ذكر اسمها فقط، بل إنّ المعرفة الكاملة بالنسبة إلى خصوصيات تلك الشخصية وأبعادها الفكرية والدلالية أمر في غاية الأهمية. ومن جهة أخرى أيضاً المقابلة بين الملامح والقضايا الاجتماعية للشاعر والتعبير عنها من خلال الاتيان بأسماء الشخصيات بأساليب وطرق مختلفة أمر مهم جدّاً وهو يمثل الخطوة التالية بعد ذكر أسماء الشخصيات في النصوص الأدبية أو الشعرية على وجه خاص.[٧٠]إنّ تحليل وقراءة النصوص الأدبية تبدأ من خلال ربط الأنساق والسياقات المختلفة. إنّ النسق الاجتماعي والنسق النصّي مهمان في فهمنا بالنسبة إلى النّص؛ وإلى جانب ذلك نجد النسق الاجتماعي المتّصل بالنصوص وهي دلالات ضمنية تظهر لنا من الجانب الخارجي للنصّ الشعري. وذلك يكشف لنا مكنونات النصّ من الناحية المضمونية التي لم يشر إليها الشاعر بصورة صريحة لأنّ الأدب بطبيعته قالب غامض لا يفضل الوضوح المباشرإنّ شاعرتنا السودانية قد اعتمدت أيضاً على هذه التقنية في أشعارها بكثافة؛ لأنّها أردات التأثير الأكبر من خلال المفاهيم التي تطرّقت إليها في شعرها وذلك ضمن السياقات والأنساق المختلفة في شعرها وأدبها. سوف نتطرق في هذا المطاف إلى بعض نماذج من شعر الشاعرة لكي تتضح لنا الصورة حول كيفية توظيف الشاعرة للشخصيات الشعبية والاجتماعية المتمثلة في التاريخ في شعرها في الديوان.

شخصية صلاح الدين الأيوبي

نبدأ نماذجنا حول توظيف الشاعرة لتقنية استدعاء الشخصيات التاريخية– الشعبية بهذا المقطع الشعري من ديوانها الّذي يحمل عنوان: للحلم جناح واحد

طالعت في صحف الصباح حديثه

قالوا

صلاح الدين سوف يعود من نصف الطريق

لأن خدمات الفنادق في الطريق رديئة

ولأن هذا الفصل صيف!!

الله حين يكون كل العام صيف

الله حين يكون كل العام صيف

الله حين تساوت الأشياء في دمنا

وقررنا التصالح وفق مقتضياتنا تباً لمن باعوا لنا الاشياء جاهزة

وكان الفصل صيف!!

خجلي

لقد سقط النصيف ولم أرد اسقاطه

لكنما كفي إلى عنقي

وقدامي هنا نطع وسيف.[٧١]

اعتمدت الشاعرة روضة الحاج شخصية تاريخية شعبية اجتماعية مميزة في هذا المقطع الشعري ولا يخفي علينا ما لهذه الشخصية من دلالة وإيحاء كبيرين. يرتبط شعرنا المعاصر بشخصيات تراثنا، لا سيما شخصية صلاح الدين الأيوبي، الذي وجد الشعراء فيه مصدر إلهام حيويًا، غنيًا بآياته ورموزه وصوره، ومحفزًا للتعبير عن المعاصر.إنّ القضايا والموضوعات التاريخية أو بتعبير الأصبح يستدعيها الأديب أو الشاعر من شعره وأدبه في الوقت نفسه، يثبت الارتباط بين الحاضر وماضينا، وهو ارتباط يؤدي إلى تفاعل القضايا الحالية، ويتم الكشف عن إرث الحلول، وسد الثغرات، ويتم التقليد؛ لذا فهو من الأمور المهمة لجيلنا الواعد في المستقبل.

شخصية النبي (محمد)

ومن النماذج الأخرى لاستدعاء الشخصيات التاريخ الاجتماعي المستل من التاريخ الديني هذه المرة يمكن الإشارة إلى أعظم شخصية في التاريخ بأكمله، أي شخصية النبي محمد (صلى الله عليه وآله). إنّ الشاعرة اعتمدت على هذا الاسم وهذه الشخصية التاريخية في فقرة كبيرة من شعرها لما له من مكانه مرموقة من الجانب العقيدي والديني والتاريخي وسائر المجالات الأخرى التي يمكن أن يكون لهذه الشخصية المتميزة من دور مرموق. تقول الشاعرة روضة الحاج في قسم من أشعارها في الديوان حول هذه الشخصية قائلة ومعبّرة عن جانب من جوانب هذه الشخصية الإسلامية الكبيرة في:

لك يا محمد ما استراحت

خيل أشواقي

ولا قلبي استراح

أشتاق وجهك يا صباح الشرق

تدفع عن دمي الموبوء بالأشجان أحزانا

تضمدها الجراح

أنا أين من عينيك ويحي في مساءً

لفني صخب

وأزعجني صياح

بل أين مني

قهقهاتك ضاحكاً تمد حولى انشى

و أغيب في الفرح المتاح

هيا أغثني يا محمد

إنني ضجراً وأشواقا

سأقضي ريثما القاك في الزمن المباح

طوق بكفك يا محمد معصمي

إخفي الدفاتر وأختفي

اصرخ باذني مازحاً

لطخ بكفك ما تشاء إن شئت أثوابي

وإن شئت الملاءات النظيفة

مدن المنافي

والمقاعد.. لن أثور در في فضاء البيت دع قلبي يدور قل لي محمد

كيف يبدو البيت بعدي

في المساء الشاي والتلفاز والضوضاء والصخب الجميل

وانت تصطنع البكاء

أولم تزل ذاك الشقي يضح دوما في العشاء؟؟

من شوقي إليك محمداً الله

والقلب يهتف في في المساء

لا تمش من غير لا حذاء اغسل يديك قبيل أو بعد العشاء

لا تلتفت إن كنت في حال الصلاة

الحق محمد: بائع الألبان جاء! الله من بعد الح ومن حنين اكتوي من ناره

وحدي محمد

اصطلي بلهيبه وحدي وأشقى بالرحيل.[٧٢]

تعبّر الشاعرة روضة الحاج عن شوقها الوافر والمتزايد بالنسبة إلى شخصية محمد ألا وهو النبي (صلى الله عليه وآله). ويتبيّن لنا هذا الشوق من جانبين. الأوّل من خلال ما ذكرته صراحة من شوق تضمه بالنسبة إلى هذه الشخصية في صدرها والحنين الذي تصرح به من خلال نصّها الشعري والثاني: يتبيّن لنا هذا الشوق واللهفة من خلال تقنية التكرار الّتي تعتمده الشاعرة وترددها لاسم محمد في هذا المقطع الشعري في الديوان. أمّا النقطة المهمة التي يجدر الإشارة إليه في هذا المجال فهو: مما لا شك فيه أن اتباع صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعر العربي في فئة التمجيد النبوي أو ما يعرف بالولادة بعيد كل البعد عن الثناء المراد كسبه المال كما يعرفه الشعر العربي قديماً. فعلى العكس من ذلك؛ فالشاعر المعاصر يسلك هذا الطريق لإضفاء الدلالة والمفاهيم المعنوية على شعره على نحو خاص ليزيد من مواضع التأثير على المتلقي.

شخصية الشهيد والشهادة

أمّا الشخصية الأخرى الّتي أشارت إليه الشاعرة في شعرها في شخصية الشهداء. ويمكننا أن نلمس ذلك من خلال أشعارها المتميزة والجميلة في هذا المضمون. ولا يخفى علينا ما في شخصية الشهيد والشهداء من دلالة وعمق في المعنى والأسلوب الشعري في الأدب والشعر. ولا سيما عندما يكون هذا التوظيف توظيفاً ذكياً وذلك من خلال الاعتماد على تقنية الاستدعاء التي تثري الجانب الفكري والمضموني في الشعر. إنّ الشهادة والاستشهاد اختيار وشرف من الله عزوجل للمؤمنين من عباده، و(الاستشهاد والاستشهاد) من أعظم أركان مقاومة الشعر وأوسع فصول الشعر التي يدور حولها الشعراء. على شاعر المقاومة أن يقرر مصيره بنفسه، وأن يكون داعياً للتحرر والاستقلال، وأن يلتزم بقضايا مجتمعه. وهذا يجعل من استدعاء شخصية الشهيد والشهداء وموضوع الشهداء بصورة عامة ضمن المسائل المهمة والأساسية التي تساعد على إثراء المعنى.

وقد أولى الشعراء المعاصرون، مثل أسلافهم، اهتمامًا كبيرًا بموضوع الاستشهاد والاستشهاد، وطبعًا بعد حروب الدول العربية، وثورات وتضحيات أبطال المسلمين. كما يشارك العديد من الشعراء في هذه الثورات معهم كل يوم ويعبرون عن هذا الموقف بكل ما يمكنهم من تصوير ورمزية وإلهام وحوار وما إلى ذلك. ومن خلال إشعال نار النضال في صدور الناس. الثوار وإيقاظ الذكورة في القلوب للانتقام والتعويض عن الظلم والقمع واستمرار حياتهم وبطولاتهم وسردها للناجين الباقين ليصبحوا قوة حركية فاعلة تقوم بعملها. وبهذه الطريقة، كل يوم، يأتي عطر الاستشهاد البشري من شعر هؤلاء الشعراء، الذين تناول كل منهم هذه القضية من زاوية خاصة. إنّ الشعراء المعاصرين يصرّون دائما على رسم مشاهد شعرية رائعة ولوحات للشهداء ويحتضنون قصصهم. وجعلها مليئة بالمعنى. محتوى قيم، مختلف في الأنماط والأشكال؛ إذا كان الشهيد نجمًا ساطعًا، ومصلحًا ملهمًا، ورمزًا للصمود في القضايا الوطنية الحاسمة، فهو حي لا ينبغي أن يُحزن عليه. وهذه فكرة عظيمة في العقيدة الإسلامية التي تتمثل من خلال العقيدة الاجتماعية في فكرة الشعوب الإسلامية والعربية. ومن نماذج هذه الفكرة الاجتماعية الدينية والفكرية المنبعثة من الاجتماع فيمكن الإشارة إلى هذا المقطع الشعري المتميز من ديوان الشاعرة وكيف أنّها تستدعي شخصية الشهيد في غرض شعري حول الحبّ والحنين بصورة جميلة؛ فإنّها تغير السياق من دون المساس بالفكرة الأساسية الموجودة في هذا الإطار:

"عجبي أتيتني
كمعارج الشهداء من فرط الصفاء
وفرط شيء كالأساطير الجميلة
لست أدري ما اسم نقيا؟
أنيق؟ لكنه الشيء الذي
هزم التراجع والتجاوز حدد التاريخ
في كفي وعلمني قراءات البروق
مدن المنافي"
تعال وقتما تشاء
فإنني كما الجراح باقية مقيمة
كقصة حزينة تقوقعت كالوشم في دواخل امرأة
أجل فليس يعرف الحزن سوى النساء
تعال وقتما تشاء
وثر لأجل أتفه الأسباب والأشياء وقرر القطيعة المريرة الطعم
ولا تهتم للذى يصيبنى
فإنني متى تعود ينهزم الإصرار في دمي
ينهمر الغفران من عيني والدموع والدماء
تعال وقتما تشاء
إن جئت في الخريف لا يهمك المطر فإنني سانتظر
ولتتق الرذاذ انت بالمظلة الزرقاء
تعال وقتما تشاء.[٧٣]

إنّ الشاعرة تركز على استدعاء هذه الشخصية؛ إلا أنّها كما قلنا تعتمد ذلك في سياق آخر ضمن فكرة مختلفة وذلك لإضفاء الدلالة الأكبر على معانيها ومضامينها الشعرية وتجعل شعرها مؤثراً يحظى بتأثير أكبر على القلب والنفوس وتجعل المتلقي والمخاطب يقبل الفكرة الموجودة في الشعر ببساطة. وكذلك من جهة أخرى قد أدخلت الشاعرة مضموناً اجتماعياً يعرفه جميع النّاس؛ العامة منهم والخاصة بأقل مجهود فكري.إنّ الشاعرة السودانية روضة الحاج تستوقفنا من خلال المفهوم وتدعونا إلى التفكر في المخزون الدلالي الثر الموجودة في ذاكرتنا الاجتماعية والدينية لكي نعود معها إلى تلك المفاهيم بغمضة عين ثم نرجع مسرعين إلى الأجواء المسيطرة في شعرها لكي نلمس القالب والسياق الجديد التي اعتمدته بالنسبة إلى ذلك الموضوع في شعرها. وقد وظّفت الشاعرة هذه التقنية بذكاء وعبقرية أدبية جيدة وقد برعت في ذلك بشكل كبير.

الالتزام فى المضامين الاجتماعيه

لفظة الالتزام قديمة في الاستعمال اللغوي، لكن التطور الفكري الحديث قد أفاض عليها معنى اصطلاحياً جديداً، وهي أكثر ما تطلق اليوم في معرض الكلام على الفكر والأدب والفن، حيث نجد في مضامينها مشاركات واعية في القضايا الانسانية الكبرى: السياسية والاجتماعية والفكرة. جاء في لسان العرب لابن منظور: "لزم الشيء، يلزمه لزماً ولزوماً، ولازمه ملازمة ولزاماً، والتزمه، وألزمه إياه فالتزمه. ورجل لزمةٌ يلزم الشيء فلا يفارقه. واللزام الملازمة للشيء والدوام عليه، والالتزام الاعتناق".[٧٤] وجاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي: "لزم الشيءُ: ثبت ودام لزم بيته لم يفارقه. لزم بالشيء: تعلق به ولم يفارقه. التزمه: اعتنقه. التزم الشيء: لزمه من غير أن يفارقه. التزم العمل والمال: أوجبه على نفسه".[٧٥] وجاء في موسوعة لاروس Larousse تحت مادة ملتزم engage والتزام – engagement والتزم – engager; s'engager، ما يلي:

التزم: ارتبط بوعد أو واجب (التزم قوله أو ايمانه)

التزم: ارتبط باتفاق شفوي – التزم: دخل في حزب ما.

الالتزام (عسكرياً): تطوّع الجندي للخدمة في الجيش مدة معينة من الزمن (مالياً): ما يتوجب على المرء من مدفوعات أو ديون.

قانونياً: العقد الذي بموجبه يؤجر امرؤ خدماته لقاء مبلغ معين.

الالتزام: (اجتماعياً وخلقياً) خطبة العروسين.

الملتزم: المرتبط بوعد أو باتفاق شفوي أو مكتوب، أو بواجب ديني أو مدني. للنظر في المعنى الاصطلاحي الجديد نكتفي بما جاء في موسوعتين فرنسيتين حديثتين، أولا هما موسوعة لاروس Larousse طبعة ١٩٦١، والثانية: الموسوعة العالمية Encyclopaedia Universalis جاء في موسوعة (لاروس)، مايلي:

الملتزم: هو الذي يتخذ موقفاً في النزاعات السياسية والاجتماعية معبراً عن ايديولوجية طبقة ما، أو حزب أو نزعة. (الادب الملتزم – الكاتب الملتزم– الفكر الملتزم).

الالتزام: هو المشاركة في القضايا السياسية والاجتماعية (التزام الكاتب). يقول كوكتو (١٨٨٩ – ١٩٦٣) (أنا محايد: أتردد أمام الالتزام) وهذا الأخير يعني التقرير والمشاركة والمسؤولية (عسكري – ماركسي. – وجودي – شخصاني) وقد خصت موسوعة لاروس لفظة الالتزام بالمعنى الخلقي بما يلي: "يكثر الحديث في أيامنا عن الفكر الملتزم، والأدب الملتزم. ولكن مظاهر الالتزام موجودة في كل عصر، ولا سيما حيث يوجد نزاع حول الواجبات التي تفرضها أنواع الصراع السياسي والاجتماعي والايديولوجي، بأن يتخذ الانسان موقفاً واضحا فيها، وأن يكون مستعداً لتحمّل النتائج المترتبة على هذا الموقف، ولقد حملت لفظة الالتزام مضموناً ميتافيزيقياً بالمعنى الذي أطلقته الفلسفة الوجودية – ففي رأي هذه الفلسفة أن كل انسان ملتزم في العالم وفي المجتمع، لا سيما في وضعه المهدد بألا يكون حراً، إذ تعتبر الوجودية ان الوجود يعني الخيار (سارتر ١٩٠٥ –) الملتزم أكثر ما تطلق هذه الكلمة على المثقف من المفكرين والكتاب والفنانين لأن الموقف الذي يتخذه المثقفون يكون له من الأهمية أكثر مما لسائر فئات المجتمع. في الالتزام دحض النظرية الفن للفن، والأدب المجاني والفكر اللامبالي" وجاء في الموسوعة العالمية، الجزء السادس ص ٢٤٢ وما بعدها حديث مفصل عن الالتزام يقع في نحو من أربعة وعشرين عموداً، وهو يتناول موضوع الالتزام ومطارحاته من جوانب متعددة، لا سيما من حيث هو سلوك، ومن حيث هو فعل. ومن حيث رؤيته للمستقبل وتأثيره فيه، وما في الالتزام من تورط ومسؤولية وحرية وموقف وما الى ذلك. ونستخلص مما جاء في هذه الموسوعة المعنى الاصطلاحي الجديد الآتي يفهم الالتزام بمعنيين، معنى السلوك la conduite، ومعنى فعل التقرير (acte de decision) فالأول يكون تبعاً لما يدل عليه من نوع الوجود الذي فيه أو بواسطته يتورط المرء في مجرى العالم، فيشعر أنه مسؤول عما يحصل، ويفتح باب المستقبل للعمل والثاني يكون بدلالة اللفظة على عمل يرتبط المرء بواسطته ارتباطاً ذاتياً بمستقبله، إما بتصرفات يأتيها، أو بنشاط يمارسه، أو بنوع من العيش يحياه.وليس الأمر مقتصراً على المشاركة في هذه القضايا، وإنما يقوم الالتزام في الدرجة الأولى على الموقف الذي يتخذه المفكر أو الأديب أو الفنان فيها. وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحاً وإخلاصاً وصدقاً واستعداداً من المفكر الملتزم لأن يحافظ على التزامه دائماً، ويتحمل كامل التبعة التي تترتب على هذا الالتزام. من هنا كان الالتزام مرتبطاً بالعقيدة منبثقاً من شدة الايمان بها صادراً في جميع أشكاله وأحواله عن ايديولوجية معينة يدين بها المفكر الملتزم ومعلوم أن الالتزام شيء، والإلزام شيء آخر. فالالتزام يعني حرية الاختيار، وهو يقوم على المبادرة الايجابية الحرة من ذات صاحبه مستجيباً لدوافع وجدانية نابعة من أعماق نفسه وقلبه؛ فالحرية شرط أساسي من شروط الالتزام، وليس ملتزماً من كان التزامه صادراً عن قسر أو مجاراة أو ممالأة أو نفاق اجتماعي.[٧٦] أما أرسطو قال في معرض حديثة عن المأساة: (إن المأساة محاكاة فعل نبيل، تام بلغة متبلّة بملح من التزيين. وهذه المحاكاة تتم بواسطة أشخاص، الحكاية، وهي تثير الرحمة والخوف فتؤدي الى التطهير من هذه الانفعالات) فقد نادى بنظرية التطهير.[٧٧] وهي أول وجه من وجوه الالتزام الناظر إلى العمل الأدبي بمنظار المنفعة. ومعنى التطهير أن الأعمال الأدبية التى تدور حول معاناة مشاعر الخوف والقلق والرحمة والشقاء، وما الى ذلك مما يثيره الحديث عن شرور الحياة وأمراض الناس الاجتماعية والنفسية والخلقية، إنما تساعد على تطهير النفوس من أدرانها، وعلى شفاء الناس من عيوبه وأمراضهم الخلقية، وذلك عن طريق تراسل المشاعر بين الجمهور والشخصيات التي يصورها العمل الأدبي. والتطهير الأرسطي نوع من المداواة لأمراض الناس تتم من غير إيلام ولا ضرر، وهي مداواة شبيهة بالتلقيح، أو بما يسمّى في الطب **مداواة الشيء بمثله**، بها تعتدل الانفعالات وتكتسب دربة وصلابة وتستقيم العواطف ويزول منها كل ما هو مضر.[٧٨]وعلى الرغم من التناقض القائم بين مثالية أفلاطون وواقعية أرسطو فان الرجلين يتفقان في الحرص على الغاية الخلقية والمناداة بها في كل عمل أدبي. وهذه الغاية الخلقية، تستمرّ أساساً لفكرة الالتزام في الأدب. ولكنها تتلون في الحين بعد الحسين بألوان سياسية واجتماعية ودينية وانسانية تبعاً للأحوال والظروف والشخصيات التي تطبع الأعمال الأدبية، بطوابعها كما هي الحال في بعض أدب "اليونان والرومان والفرس والعرب وسواهم.[٧٩]ولنا في كتاب كليلة ودمنة موقف واضح من مواقف الالتزام لا من حيث غايته التعليمية الاصلاحية فحسب بل في كلام بيدبا الفيلسوف وسلوكه حين شعر بأنه مسؤول – لمجرد كونه فيلسوفاً ومفكرا"– عن مقاومة الظلم

والطغيان ودرء الشر عن المجتمع. وخلاصة الأمر أن أهل الهند أجمعوا بعد رحيل ذي القرنين عن بلادهم على أن يخلعوا الحاكم اليوناني الذي عينه ذو القرنين وان يملكوا عليهم رجلاً من أولاد ملوكهم فمّلكوا عليهم ملكاً يقال له د بشليم، فلما استقر له الملك واستوثق له الأمر، طغى وبغى وتجبّر وتكبر، وجعل يغزو من حوله من الملوك... فلما رأى ما هو عليه من الملك والسطوة عبث بالرعية، واستصغر أمرهم وأساء السيرة فيهم... وكان في زمانه رجل فيلسوف من البراهمة، فاضل حكيم يعرف بفضله ويرجع اليه في قوله، يقال له بيدبا. فلما رأى ما عليه الملك من ظلم الرعية فكر في صرفه عما هو عليه ورده الى العدل والانصاف فجمع لذلك تلامذته وقال لهم: إعلموا أني أجلت الفكرة، وأطلت العبرة في دبشليم الملك، وما هو عليه من الخروج عن العدل ولزوم الشر، ورداءة المذهب، وسوء عشرته مع الرعية.وإننا نروّض أنفسنا لمثل هذه الأمور إذا ظهرت من الملوك لنرد هم الى فعل الخير ولزوم، العدل ومتى أغفلنا ذلك وأهملناه لزمنا من وقوع المكروه بنا وبلوغ المحذور إلينا ألم الجهال وبلغ اليهم أن كنا في أنفسهم أجهل منهم وفي عيونهم أقل منهم وليس الرأي عندي الجلاء عن المواطن، وليس يسعنا في الحكمة ان نبقي الملك على ما هو عليه من رداءة السيرة وسوء الطريقة، ولا يمكننا مجاهدته بغير ألسنتنا. ولو ذهبنا لنستعين عليه بغيرنا لما تهيأت لنا، معاندته ولو أحس منا مخالفتنا وانكارنا لسوء سريرته لكان في ذلك بوارنا... وان الفيلسوف لخليق أن تكون همته الى ما يحفظ به نفسه من نوازل المكروه، ولواحق المحذور. وقد جمعتكم لهذا الأمر لأنكم أسرتي وموضع سري، وبك، أعتضد، وعليكم، أعتمد فإن الوحيد في نفسه والمنفرد برأيه حيثما كان هو ضائع ولا ناصر. له على ان العاقل قد يبلغ بحيلته ما لا يبلغ بالخيل والجنود[٨٠] وقد شاور بيدبا تلاميذه وانصرف بعد ذلك الى تحقيق ما التزمه من إصلاح الملك ورده عن البغي ولقي من جراء ذلك اضطهاداً وأودع السجن، لكنه استطاع في النهاية أن يحقق هدفه، وأن يصلح الملك ويضع له بعد ذلك كتاب كليلة ودمنة. فهذا الموقف الذي وقفه بيدبا يقع في صميم الالتزام ويظهر أن المفكر العاقل مسؤول في كل زمان ومكان عن مجتمعه وأبناء قومه، وعن خير الانسان بصورة عامة. وهكذا كانت مواقف الالتزام على مر التاريخ تتعدد، وفكرة الالتزام تتطور المبادىء الخلقية، شاملة معها بعض الجوانب السياسية والاجتماعية والدينية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتب

١. ابن المقفع. (١٩٣٧م). كليلة ودمنة. القاهرة: المطبعة الأميرية ببولاق.

٢. أرسطو. (د. ت). فن الشعر. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

٣. أعرج، خالد. (٢٠١٦م). في تأويل خطاب النقد الأدبي الاجتماعي. القاهرة: عالم الكتب.

٤. أمين، بكري الشيخ. (١٩٨٦م). مطالعات في الشعر المملوكي. دار الملايين.

٥. بارت. (٢٠١٦م). درس السيميولوجيا. ترجمه ع. بنعبد العالي. المغرب: دار وبقال للنشر.

٦. بنيس. (٢٠١٥م). العشر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها. بيروت: دار اللغة العربية.

٧. بوراس، عبدالخالق. (٢٠١١م). اللغة الشعرية بين آليات التشكيل وطرائق التعبير. بيروت: دارالآداب.

٨. بوهرور، حبيب. (٢٠٠٨م). تشكل الموقف النقدي عند أدونيس ونزار قباني. عمان: جدارا للكتاب العالمي.

٩. الجاحظ، عمرو بن بحر. (د.ت). الحيوان. سوريا: دار الكتب العلمية.

١٠. الحاج، روضة. (٢٠١٧م). عش للقصيد. بيروت: دار تفاصيل الكلم للنشر والتوزيع.

١١. «_____». (د. ت). للحلم جناح واحد. بيروت: دار تفاصيل الكلم للنشر والتوزيع.

١٢. حسين، يسري، (٢٠١١م). التناص في شعر حميد سعيد. عمان: دار دجلة.

١٣. الحطيئة، أبو مليكة بن أوس. (١٩٩٣م). الديوان. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٤. الزعبي، أحمد. (٢٠١٦م). التناص نظريا وتطبيقيات. بيروت: دار اللغة العربية.

١٥. عبدالله، محمد حسين. (د. ت). الصورة والبناء الشعري. بيروت: دارالنشر الأدبي.

١٦. علوش، سعيد. (١٩٨٥م). معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

١٧. عنترة، بن شداد. (١٨٩٣م). ديوان عنترة. بيروت: دار الآداب لصاحبها امين الجوزي.

١٨. الفيروز، آبادي. (١٩٩٦م). القاموس المحيط. المملكة العربية السعودية: عالم الكتب السعودية.

١٩. قاسم. (٢٠١٧م). التناص القرآني والإنجيلي في شعر أمل دنقل. بيروت: جامعة القدس المفتوحة.
٢٠. قباني، نزار. (١٩٨١م). ديوان نزار قباني. لبنان: بيروت.
٢١. كريستيفا. (د.ت). علم النص. ترجمه فريد الزاهي. المغرب: دار وبقال للنشر.
٢٢. مفتاح، محمد. (١٩٩٢م). تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص). ط ٣. المغرب: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
٢٣. ناجي، ابراهيم. (٢٠١٠م). ديوان ابراهيم ناجي. بيروت: دار العودة.
٢٤. هلال، محمد غنيمي. (١٩٧٣م). النقد الأدبى الحديث. بيروت: دار العودة.
٢٥. الوراقي، سعيد. (د. ت). لغة الشعر العربي الحديث. بيروت: دار النهضة العربية.

الرسائل

١. أحمد، امل أحمد. (٢٠٠٥م). «التناص في رواية إلياس خوري باب الشمس». رسالة ماجستير، نابلس، فلسطين: جامعة النجاح.

المواقع الالكترونية

١. جون، محمد تقي. (٢٠١٠م). تناصات المتنبي مع الثقافة العالمية (١-٢). نشر بتاريخ: ٠٨ آذار/مارس؛
https://www.almothaqaf.com.
الحراق، محمد شداد. (٢٠١٤م). «اللغة الشعرية وهوية النص». موقع ديوان العرب. المنشور على الرابط التالي:
https:// www.diwanalarab.com/اللغة-الشعرية
٢.كلين، ريتشارد. (٢٠٢١م). «السلبية والأدب». المنشور على الرابط التالي:
www.maaber.org/issue_april09/literature4_a.htm
٣.الخاني، ريمة عبد الإله. (٢٠١٤م). تأثير البيئة في العمل الأدبي . مقال منشور على الرابط التالي:https://www.diwanalarab.com

هوامش البحث

[١] الحراق، «اللغة الشعرية وهوية النص»
[٢] الحراق، «اللغة الشعرية وهوية النص»
[٣] بوراس، اللغة الشعرية بين آليات التشكيل وطرائق التعبير: ص ٨٦
٤. مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص): ص ١٣١
٥. جون، «تناصات المتنبي مع الثقافة العالمية (١-٢)».
٦. يسري، «التناص في شعر حميد سعيد»: ص ٥
٧. امل أحمد، «التناص في رواية إلياس خوري باب الشمس»: ص ٤
٨. علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: ص٢١٥
٩. كريستيفا، علم النص: ص ٢١
١٠. بارت، درس السيميولوجيا: ص ٨٥
١١. الزعبي، التناص نظريا وتطبيقيات: ص ١١
١٢. الجاحظ، الحيوان: ج ٣، ص ٣١١
١٣. بنيس، العشر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها: ص ١٨٣
١٤. بنيس، العشر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها: ص ١٨٣
١٥. ديوان عنترة، ص ٨٠
١٦. قاسم، التناص القرآني والإنجيلي في شعر أمل دنقل: ص ٢٤١
[١٧] الحاج، عش للقصيد: ص ٦
[١٨] الحاج، للحلم جناح واحد: ص ٢

[١٩] الحاج، الديوان: ص ٢

[٢٠] القيامة: الآيات ٧-١٠

[٢١] الحاج، الديوان: ص ١٦

[٢٢] يوسف: الآية ٤٥

[٢٣] الحاج، الديوان: ص٧

[٢٤] الفلق: الآيات ٢-١

[٢٥] الحاج، الديوان: ص ٣٥

[٢٦] التوبة: الآية ٤٠

[٢٧] الحاج، الديوان: ص ٣١

[٢٨] ناجي، الديوان: ص ٥١

[٢٩] الحاج، الديوان: ص ٢٤

[٣٠] الحطيئة، الديوان: ص ١٠٧

[٣١] الحاج، الديوان: ص ٢٤

[٣٢] دنقل، الديوان: ص ٣٢٩

٢. بوهرور، تشكل الموقف النقدي عند أدونيس ونزار قباني: ص٨٦

[٣٤] الحاج، الديوان: ص ٢٥

[٣٥] قباني، الديوان: ص ٩

[٣٦] الأعرج، في تأويل خطاب النقد الأدبي الاجتماعي: ص ٣٥

[٣٧] الوراقي، لغة الشعر العربي الحديث: ص ١٣٥

[٣٨] الأعرج، في تأويل خطاب النقد الأدبي الاجتماعي: ص ٤٦

[٣٩] عبدالله، الصورة والبناء الشعري: ص ٦٧

[٤٠] الشعيبي، الإيجابية والسلبية في الشعر العربي القديم: ص ١٠٢

[٤١] الحاج، ديوان للحلم جناح واحد: ص ١٦

[٤٢] الرعد: الآية ١١

[٤٣] الحاج، ديوان مدن المنافي: ص ١٢

[٤٤] الحاج، ديوان في الساحل يعترف القلب: ص ٩

[٤٥] الحاج، ديوان عشق للقصيد: ص ٥

[٤٦] الحاج، ديوان عشق للقصيد: ص ٨

[٤٧]. الحاج، ديوان عشق للقصيد: ص ١٧

[٤٨] كلين، «السلبية والأدب»

[٤٩] كلين، «السلبية والأدب»

[٥٠] الحاج، في الساحل يتعترف القلب: ص ١٢

[٥١]. الحاج، ديوان عشق للقصيد: ص ٤

[٥٢]. الحاج، ديوان عشق للقصيد: ٢٤

[٥٣] بلهواري و بوراين، «الثقافة الدينية في الشعر الجزائري الحديث – محمد العيد آل خليفة- نموذجا»: ص ٣٧

[٥٤] الحاج، في الساحل يتعترف القلب: ص ١٨

[٥٥] الحاج، في الساحل يتعترف القلب: ص ١٨

[٥٦] الحاج، في الساحل يتعترف القلب: ص ٢٠

[٥٧] الإنسان: الآية ١٣

[٥٨] الحاج، عش للقصيد: ص ١٣

[٥٩] الخاني، «تأثير البيئة في العمل الأدبي»

[٦٠] الخاني، «تأثير البيئة في العمل الأدبي»

[٦١] الخاني، «تأثير البيئة في العمل الأدبي»

[٦٢] الحاج، عش للقصيد: ص ٦

[٦٣] الحاج، في الساحل يعترف القلب: ص. ١٨

[٦٤] الحاج، في الساحل يعترف القلب: ص ٢٦

[٦٥] عبدالله، تحليل الأدب الاجتماعي في شعر إيليا أبوماضي: ص ٢٣

٦٦. عبدالله، تحليل الأدب الاجتماعي في شعر إيليا أبوماضي: ص ٢٤

[٦٧] الحاج، مدن المنافي: ص ٧

[٦٨] الحاج، للحلم جناح واحد: ص ٢٢

[٦٩] توفيق، دور استدعاء الشخصيات التراثية في الدلالة: ص ٣

[٧٠] توفيق، دور استدعاء الشخصيات التراثية في الدلالة: ص ٤

[٧١] الحاج، للحلم جناح واحد: ص ١٩

[٧٢] الحاج، مدن المنافي: ص ١٤

[٧٣] الحاج، مدن المنافي: ص ٢٧

٧٤. ابن منظور، لسان العرب: ص٥٤١

٧٥. الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ج ٤، ص ١٧٥

٧٦. أمين، العالم الثقافة والثورة: ص ٥٤

٧٧. أرسطو، فن الشعر: ص ٣٨

٧٨. هلال، النقد الأدبي الحديث: ص ٨٣

٧٩. من أمثلة ذلك: مسرحيات سوفوكل (م ٤٩٥ ق. م) وأوروبيد (٤٨٠ – ٤٠٦ ق. م) وأريستوفان (القرن الخامس ق. م)، عند اليونان وإنياذة فرجيل ٧٠ – ١٩ ق. م عند الرومان. وشاهنامة الفردوسي وظفر نامته عند الفرس (٩٣٣ – ١٠٢١ م)، واشعار زهير بن أبي سلمى في الجاهلية (م ٦٢٧ م)، وحسان بن ثابت (م ٦٧٤م) والخوارج. والكميت (م ٧٤٤م) في الاسلام، وكتابات ابن المقفع (م٧٧٤م) والجاحظ (م ٨٦٩م). وأشعار المتنبي (م ٩٦٥م) والمعري (م ١٠٥٧م) وسواهما في الأعصر العباسية.

٨٠. ابن المقفع، كليلة ودمنة: صص ٧٣-٧٢